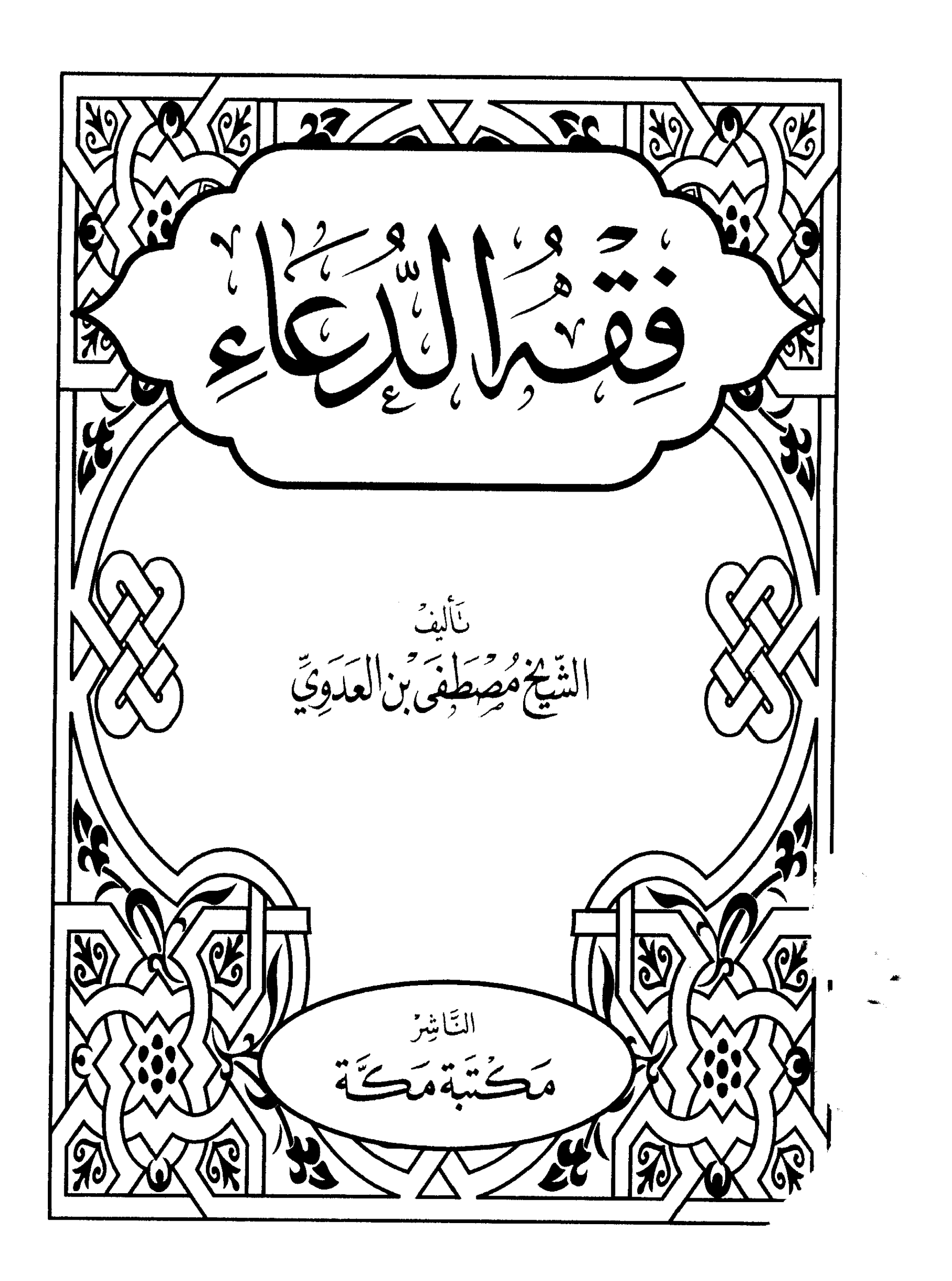


فقه الدعاء
تأليف
الشيخ مصطفى بن العدوي
الناشر
مكتبة مكة

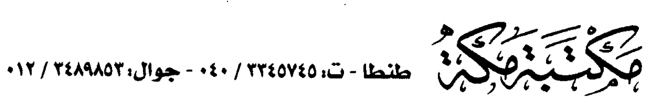
فِقْهُ الدُّعَاءِ

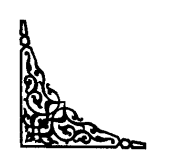


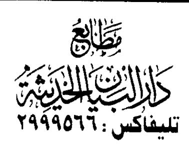
الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

رقم الإيداع: ١٠٨٨٢/٢٠٠١









بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد للَّه نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧١، ٧٢].

وبعد:

فإن أصدق الحديث كتاب اللَّه وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أما بعد ...

- فإن الدعاء عبادةٌ من أجلِّ العبادات التي يتقرب بها العبدُ إلى ربِّه عزَّ وجلَّ، وقربة من أفضل القربات.

- ثم إن الدعاء مفتاح لكل خير ومغلاقٌ لكل شر، ومجلبة لكل نفع

ودفع لكل ضُر.

● بل إن الابتلاءات التي يبتلى بها العباد من أمراض وأسقام والخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات من أجل مقاصدها حمل العباد على الدعاء والتضرع، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ**﴾ [الأعراف: ٩٤]، وكما قال سبحانه: ﴿**فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا**﴾ [الأنعام: ٤٣].

ولذلك، ولغيره، فقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة التي تحث على الدعاء وتُرغِّب فيه وتبين آدابه وأحكامه وفضائله ومواطنه وآثاره وصيغه وألفاظه، إلى غير ذلك مما يتعلق به. فأردت مستعينًا بالله سائلاً إيَّاه التوفيق أن أبيِّن في هذا الكتاب شيئًا مما يتعلق بالدعاء، مُغلبًا جانب الفقه والأحكام والآداب على غيره من الجوانب.

فمن يُرد الله به خيرًا يفقهه في الدِّين[1] كما قال النبي ﷺ، فالفقيه العامل يعمل قليلاً ويؤجر كثيرًا.

ألا ترى أن الرجل قد يتصدق بصدقة فيتضاعف أجرها إلى ضعفين أو إلى عشرة أضعاف، أو إلى عشرين ضعفًا، بل قد يتضاعف إلى سبعمائة ضعف، بل إلى أضعاف كثيرة، بل تأتي الصدقة التي تعدل التمرة من الكسب الطيب، تأتي يوم القيامة كالجبل العظيم!! وكل ذلك - بعد توفيق الله وقبوله للعمل - ينبني على الملابسات المحيطة بهذه الصدقة.

● فهل تصدَّق بها المتصدق مُريدًا بها وجه الله، وما لأحدٍ عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى، لا يريد من أحدٍ عليها جزاء ولا شكورًا،

---

(١) البخاري (٧١)، ومسلم (حديث ١٠٣٧) من حديث معاوية ؓ مرفوعًا.

أم تصدق بها مريدًا بها وجوه الناس وثواب الناس؟!!

- وهل هذه الصدقة جاءت من كسبٍ طيب أم من كسب خبيث مشتبه؟!!

- وهل أنفق هذه النفقة وصدره منشرحٌ بها وسعيدٌ بإنفاقها ونفسه ثابتة بذلك كما قال تعالى: ﴿**وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ**﴾ [البقرة: ٢٦٥] أم أنفقها وهو كاره متضرر؟!

- وكذلك هل وضعها في يد قريب محتاج أم في يد رجل لا تربطه به قرابة؟!

فالصدقة على القريب صدقة وصلة، والصدقةُ على البعيد صدقة.

- وكذلك فهل وضعها في يدٍ هي أشد احتياجًا أم وضعها في يد غنيٍّ؟!

- وكذلك فهل وضعها في يد مسكين متعفف لا يسأل الناس إلحافًا، أم في يد طماع مليء؟!

- وكذلك هل ستر على الفقير أثناء العطاء حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه أم أنه فضح الفقير عند العطاء؟

- وهل صاحب هذه الصدقة رياء أم لم يصحبها رياء؟

- وهل تصدق بها في وقت الاحتياج إليها أم في وقت الاستغناء عنها؟

- وكذلك فمن العلماء من يرى أن التصدق في بلد اللَّه الحرام له جميل الأجر وعظيم الثواب.

- وكذلك فهل أتبع هذه الصدقة بالمنِّ والأذى أم أتبعها بمعروفٍ من القول وجميل المغفرة؟!

- ثم هل سأل اللَّه القبولَ لهذه الصدقة أم لم يسأل؟!

فهـذه وغيرها أسـباب تضاعف العـمل، ومن ورائها يحدث التـفاوت في الثواب وتضعيف الأجور!

- **وهكذا سائر الأعمال كالصلاة والصيام والحج والعمرة:**

فقد يـنصرف الرجل من صلاته ما كُـتبَ له إلا عشرُهَا، وقد ينـصرف ما كُتب له إلا نصفها، وقد ينصرف ما كتب له إلا ثلثها أو ربُعها، وقد ينصرف وصلاته مردودة عليه. ولله الأمرُ من قَبْلُ ومن بعد، ولكن ثَمَّ أسباب:

- فهل صلى مرائيًا؟
- وهل أحسن الوضوء وأسبغه؟
- وهل طهر ثيابه؟
- وهل خرج مُبكرًا إلى المساجد ينتظر الصلاة؟
- وهل أتم الركوع والسجود؟
- وهل خشع في صلاته؟
- وهل استحضر عظمة اللَّه فيها؟
- وهل جمع قلبه عند تلاوة القرآن وتفكر فيه وتدبر؟
- وهل أحسن في متابعة الإمام؟
- وهل سأل اللَّه القبولَ؟

فهـذه وغيـرها أمور تتسـبب في تضعـيف أجر الصلاة، ومـن ثمَّ يحدث التفاوت في ذلك.

- وكذلك فالدعاء تتفاوت فيه الأجور ، **ويحظى بعضه بالقبول والآخر بالردِّ والحرمان.**

- فهل دعا المرء ربه منيبًا إليه؟!
- هل دعاه خوفًا وطمعًا؟!
- هل دعاه تضرعًا وخفية؟!
- هل دعاه مخلصًا له الدِّين؟!
- هل دعا بدعوة صالحة أم بدعوة فيها إثمٌ وقطيعة رحم؟!
- هل طيب المطعم والمشرب والملبس وغُذي بالحلال؟!
- هل اعتدى في الدعاء؟
- هل قدم المقدمات المناسبة للدعاء؟
- هل تحرى أوقات الإجابة؟
- هل دعا بقلب موقن بالإجابة حسن الظن باللَّه أم دعا بقلب ساهٍ غافلٍ لاهٍ؟!
- هل سارع في الخيرات، وقدم الصالحات مع الدعاء؟
- هل جاء الدعاء بعد عمل صالح؟!
- هل دعا بجوامع الكلم؟
- وكذلك فهل هناك مظلوم دعا عليه أو ما يزال يدعو؟
- ثم هل سأل اللَّه القبول؟

فهذه وغيرها أسباب أيضًا لها بلا شك تأثير في الدعاء، وإلى ربنا المنتهى في كل شيء.

فكما سلف فالفقيه يعمل قليلاً ويؤجر كثيرًا.

والفقه يتأتى من مشربنا كتاب ربنا سبحانه وتعالى وسنة نبينا ﷺ، ثم

النظر في أقوال علماء أهل الفضل والعلم والإحسان، بعد النظر في دعاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فأولئك الذين هدى اللَّه فبهداهم اقتده.

فكان لزامًا أن نفقه أمر الدعاء حتى نحظى بجميل الإجابة ولا نخيب ولا نشقى بالرد والحرمان!!

● **هذا وقد تحريت - بفضل اللَّه -** الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول اللَّه ﷺ، **وكذلك الآثار الثابتة** الصحيحة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، واجتزأت **في التخريج والعزو** بالقدر الكافي المؤدي للغرض، فالكتاب موجه إلى عموم المسلمين، **فلم أرَ أن** يثقل بالتخريجات.

هذا وثَمَّ أبواب كانت تحتاج إلى بحثٍ بصورة أوسع، وإن شاء اللَّه تأتي مباحثها في طبعات لاحقة لهذا الكتاب[1] .

فإلى موضوعنا موضوع الكتاب - ألا وهو «فقه الدعاء» - اتجه سائلاً ربي عز وجل أن ينفعني به والمسلمين، وأن يفقهنا جميعًا في الدين، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى اللَّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

كتبه
أبو عبد الله
مصطفى بن العدوي

---

(١) هذا ولي رسالة صغيرة اسمها «من فقه الدعاء» لمن أراد شيئًا مختصرًا في هذا الباب، وباللَّه التوفيق.

الدعاء عبادة

فكما أن المُصلي يثاب على صلاته.

والمتصدق يُثاب على صدقته.

والصائم كذلك والمعتمر والحاجّ كل هؤلاء يثابون على فعلهم، فكذلك الداعي يُثاب على دعائه سواء أُجيب هذا الدعاء أو تأخرت الإجابة، فكلما رفع الداعي يديه إلى السماء قائلاً: يا رب يا رب، وكلما اجتهد في الدعاء وواصل أثابه اللَّه على دعائه.

ومما يدل على أن الدعاء عبادة ما يلي:

- ما أخرجه الترمذي من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال[1]: سمعت النبي ﷺ يقول: «**الدعاء هو العبادة**» ثم قرأ: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر: ٦٠].

- وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿**وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ**﴾ [مريم: ٤٨، ٤٩].

ففي صدر الآية: ﴿**وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ**﴾ ثم جاء بعد ذلك: ﴿**فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ**﴾ فدل ذلك على أن الدعاء عبادة.

- وكذلك في أحد أقوال المفسرين لقول الفتية أصحاب الكهف: ﴿**رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا**﴾ [الكهف: ١٤] أي لن نعبد غيرهُ.

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي (٥/ ٣٧٤)، وأبو داود (٣٥٩)، وأحمد (٤/ ٢٧١)، وغيرهم، وسنده صحيح.

كل هذا يفيد أن الدعاء عبادة.

فعلى ذلك فإن مـن يدعو ربه كما أمره اللَّه فـإنه يثاب بإذن اللَّه ـ وإن لم تظهر له الإجابة ـ وذلك **لأنه** في عبادة كـما أن الصائم **في** عبادة والمصلي **في** عبادة والحاج **في عبادة والمجـاهد** في عبادة، و. . . ،فكذلك الداعي في عبادة على تفاوت **في الدرجـات، فلهذا** كان من الـلازم التنبيه على شيء من فـقه هذه العبادة.

فرب رجل **يكد ويجـد** ويجتهـد طلبًا للرزق ولا يُوفق له، بل يجـد فوق كده وجده **واجـتهاده خسـارةً** في ماله، وآخر لا يكد نفس الكد ولا يجـتهد نفس الاجتهـاد بل يعمل بعض الشيء لكنه يدعو ربه عـز وجل بدعوة توافق ساعة إجابة فيستجيب اللَّه تعالى له.

وآخر يدور بابنه على الأطباء وينفق الآلاف يبتـغي لولده الشفاء ولا يُشفى الولد، وآخر يمرض ولده نفس المرض فيدعو بدعـوة يستجيب اللَّه الشافي لها فيشفى الولد بإذن اللَّه.

وثالث يبحث عن زوجـة تقر بها عينه ويبحث ويبـحث ولكنه ينسى دعاء اللَّه فلا يوفق، وآخـر يطلب من ربه ذلك ويجتهد بعض الاجـتهاد في ذلك فيوفقه اللَّه لكل خير وييسر له سبله.

وليس معنـى هذا التواكل وترك طلب الرزق وأسبـاب الشفـاء، كلا، بل المراد ألا ينسى المؤمن دعاء ربه عز وجل في كل وقت وحين، والـلَّه المستعان ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

* * *

ومن أهمية العلم بفقه الدعاء

• لما تقدم من أن الدعاء عبادة لا بد أن تصرف تلك العبادة ـ كغيرها من العبادات ـ للَّه وحده، إلا أنه قد زلَّت أقدامُ قومٍ جهلوا فقه الدعاء فانزلقوا إلى مزالق الشِّرْك والابتداع والاعتداء وجلب العنت لأنفسهم ولغيرهم، وكان القليل هم الذين اقتفوا أثر رسول اللَّه ﷺ في هذا الباب.

* * *

شرك أقوام في باب الدعاء

• فزلت أقدام قوم شهدوا أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه بألسنتهم فدعوا غيرَ اللَّه سبحانه، فدعا فريقٌ رسول اللَّه ﷺ ودعا آخرون عليًا والحسن والحسين، ودعا آخرون البدويّ والجيلانيّ وأباطير وغير هؤلاء من المخلوقين، فزلت أقدام هؤلاء الداعين وكفروا لفعلهم هذا وهم لا يشعرون، فقد قال اللَّه جل ذكْرُهُ: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ**﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

* * *

ابتداع آخرين في هذا الباب

• ابتدع آخرون من المتصوفة في الدِّين وفي أمر الدعاء، فتركوا الدعاء مطلقًا وقالوا: إن دعاءك لربك اتهامٌ له، واحتجوا بالأثر الموضوع الذي لا أصل له، ألا وهو المنسوب إلى الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما جاءه جبريل عليه السلام فقال: **يا إبراهيم ألك حاجَةٌ؟** فقال: أما إليك فلا، فقال جبريل: فسل ربك، فقال إبراهيم: حسبي من سؤالي علمه بحالي، وفي

لفظ للعوام: علمه بحالي يُغْنِي عن سؤالي.

وهذا خبر لا أصل له كما تقدم، ثم هو معارض بعمومات الشرع كالآيات المتقدمة وغيرها وكذلك حال رسول اللَّه وسائر رسل اللَّه صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين، وما كانوا عليه من دعاء، والخليل عليه السلام يقول: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٠، ٤١]، ويقول عليه السلام أيضًا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ[1] ﴿٨٦﴾ وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٣ - ٨٧].

فحرم هؤلاء أنفسهم خيرًا كثيرًا وجلبوا لأنفسهم نكدًا عظيمًا بحيودهم وابتعادهم عن كتاب ربهم وهدي نبيهم ﷺ.

* * *

(١) استغفاره لأبيه المشرك متعقب بقوله تعالى: ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم﴾.

والدعاء مفتاح لكل خير ومغلاق لكل شر

وفيه جلبٌ لكل نفعٍ ودفع لكل ضُرٍّ.

- فهل اجتبى اللَّه آدم عليه السلام وتاب عليه وهداه إلا بعد أن تلقى آدم من ربه كلمات فدعاه بها؟!!

- وهل فُتحت أبواب السماء بماء منهمر وفُجِّرت الأرض عيونًا فالتقى الماء على أمر قد قُدِرَ، وحمل نوح عليه السلام على ذات ألواح ودُسر إلا بعد أن دعا ربه: ﴿**أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ**﴾ [القمر: ١٠].

وكذلك بعد أن دعا فقال: ﴿**رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا**﴾ [نوح: ٢٦].

- وخليل اللَّه إبراهيم عليه السلام هل أنجاه اللَّه من النار إلا بعد قوله: حسبنا اللَّه ونعم الوكيل؟!

وهل بُشِّر بغلام حليم إلا بعد دعائه: ﴿**ربِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [الصافات: ١٠٠].

وهل أنعم اللَّه عليه وأنجاه وزوجته سَارّة - عليها السلام - من الجبار وكف اللَّه يدَ الكافر الجبار عنها إلا بعد دعاء إبراهيم وسَارّة عليهما السلام[١] ؟!

- وكذلك هاجر عليها السلام التي هي أم نبي اللَّه إسماعيل ﷺ ومن ذريته نبينا محمد ﷺ هل ساقها اللَّه لسارّة[٢] إلا بعد دعاء سارّة: اللهم كف يد الكافرِ؟!

---

(١) وسيأتي الحديث بذلك إن شاء اللَّه.

(٢) ثم بعد ذلك وهبتها لزوجها إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وهل نال إبراهيم عليه السلام هذه المراتب العليّة والثناء الحسن ـ ومنه أننا نصلي عليه في كل صلاة ـ إلا بعد دعائه: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

• ولوط عليه السلام هل أنجاه اللَّه وأهلك أعداءه إلا بعد دعائه: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٩].

• ويونس ﷺ هل أنجاه اللَّه من الغمِّ إلا بعد أن نادى في الظلمات: ﴿أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

• وأيوب عليه السلام هل كشف اللَّه ما به من ضرٍّ[1] إلا بعد دعائه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] ؟!

• وداود عليه السلام هل قتل جالوت وآتاه اللَّه المُلك والحكمة وعلَّمه مما يشاء إلا بعد أن دعا هو ومن معه من المؤمنين: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]؟!

• وسليمان عليه السلام هل سخرت له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بنَّاء وغوَّاص وآخرين مقرنين في الأصفاد؟! وهل أسَالَ اللَّهُ له عَيْنَ القطْر، وأفهمه لغة الطير والنمل، إلى غير ذلك مما منَّ اللَّه به عليه وأنعم إلا بعد أن دعا فقال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥]؟!

• وزكريا عليه السلام هل وهب اللَّه له يحيى وأصلح له زوجه إلا بعد

---

(١) وليس معنى ذلك أن اللَّه لا يكشف الضر إلا بعد دعاء العبد، فقد يكشف اللَّه الضر بلا دعاء، وقد ينصر بلا دعاء، وقد يرزق بلا دعاء، ولكن الدعاء من باب الأسباب والمسببات كما هو معلوم، واللَّه تعالى أعلم.

أن دعا فقال: ﴿رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩] ؟!

وبعد أن دعاه فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨]، وقال: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥]؟!

• وهل حفظ اللَّه مريم وابنها وذهب الشيطان يطعن فطعن في الحجاب ولم يُصبها بأذى وهل جعلها اللَّه وابنها آية للعالمين إلا بعد أن دعت أمها فقالت: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]؟!

• ونبينا محمد ﷺ يدعو اللَّه فيقول: «**اللهم أعز الإسلام بأحبِّ الرَّجُلَيْنِ إليك بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام**» فيهدي اللَّه عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه ويبلغ من المكانة ما بلغ.

• ويدعو لابن عباس رضي الله عنهما: «**اللهم فقهه في الدين وعلِّمه التأويل**»[1]، فيبلغ من العلم مبلغًا لا يُبارى ولا يُدرك، حتى إن ابن مسعود رضي الله عنه يقول: (لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا رجل)[2]، ويقول ابن مسعود أيضًا: (نعم ترجمان القرآن ابن عباس)[3].

• وأنس بن مالك رضي الله عنه لما دعا له رسولُ اللَّه ﷺ بقوله: «**اللهم ارزقه مالاً وولدًا وبارك له**» قال: فإني لمن أكثر الأنصار مالاً، وحدثتني ابنتي أُمينة أنه دفن لصلبي مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون ومائة[4].

---

(١) بهذا اللفظ عند أحمد (١/٣٢٨)، وسنده حسن، وانظر تخريجه في كتابنا «الصحيح المسند من فضائل الصحابة».

(٢) موقوف صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢٢٦٨).

(٣) موقوف صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢٢٦٩).

(٤) البخاري (حديث ١٩٨٢).

• وأم حرام بنت ملحان تحظى بدرجة الشهادة في سبيل اللّه بفضل دعوة رسول اللّه ﷺ لها(١) .

• وتأتي قبيلة دوسٍ مُسلـمة بفضل قول النبي ﷺ : «**اللهم اهْـدِ دَوْسًا وائت بهم**»(٢) .

ولأن المنتـهى إلى الله في جمـيع الأمور كـما قال تعـالى: ﴿وأن إلى ربك المنتهى﴾ لزمنا أن نتجه إليه في جميع أمورنا ونسأله جميع احتياجاتنا.

فلكوننا ندرك أن المهتدي من هداه اللّه، والموفق من وفقه اللّه:

كما قـال تعالى: ﴿**مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ**﴾ [الكهف:١٧]، وكمـا قال أهل الإيمـــان: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾ [الأعراف:٤٣]، وكما قال شعيب عليه السلام: ﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ**﴾ [هود:٨٨].

فمن ثَمَّ فلنسأل اللّه الهدايةَ ولنلتمس منه التوفيق.

• وأيضًا فالسابق بالخيرات، إنما سبق إليها بإذن اللّه:

كما قال تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [فاطر:٣٢].

فمن ثَمَّ فلنسأل اللّه أن يجعلنا من السابقين بالخيرات.

• ولأن المعصوم من عصمه اللّه، والمحفوظ من حفظه اللّه:

قال يوسف الصديـق عليه السلام: ﴿**وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [يوسف:٣٣].

ومن ثَمَّ فلنسأل اللّه أن يعصمنا من الزلل وأن يحفظنا من السوء والمكروه.

---

(١) انظر البخاري (٢٧٨٨، ٢٧٨٩)، ومسلم (١٩١٢).

(٢) انظر البخاري (٤٣٩٢)، ومسلم (٢٥٢٤).

● وكما أن خزائن كل شيء بيديه سبحانه وتعالى:

كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ**﴾ [الحجر: ٢١].

وكما قال عزَّ وجلَّ: ﴿**وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [المنافقون: ٧].

فمن ثَمَّ فلنسأل اللَّه الذي نُريد، ولنطلب منه الذي نرجو، ولنلتمس منه مزيد الفضل والإحسان.

● **كذلك فحافظة فرجها والحافظة لغيب زوجها إنما كان ذلك منها بعون اللَّه:**

كما قال تعالى: ﴿**فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ**﴾ [النساء: ٣٤].

فمن ثَمَّ فلنسأل اللَّه أن يعينها على حفظ ما أمرها اللَّه بحفظه وأن يرزقها العفة والطُّهر والنقاء.

● **ولأن الوهَّاب هو اللَّه** ﴿**يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ**﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

فمن ثَمَّ فلنسأل اللَّه الذرية الصالحة.

● والصابر إنما صبرُه باللَّه عزَّ وجلَّ: إذ اللَّه قال: ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ**﴾ [النحل: ١٢٧].

فمن ثَمَّ فلنسأل اللَّه الصبر على البلاء، ونطلب منه العون على ذلك وكذلك كل الأمور، فالذي يسلط قومًا على قومٍ هو اللَّه، والذي يكف يد قومٍ عن آخرين هو اللَّه، والذي ينصر هو اللَّه، والشافي هو اللَّه، والذي

يكشف الضر هو اللَّه، والذي يعز ويذل هو اللَّه، والذي يرفع ويخفض هو اللَّه، والمثبت من ثبَّته اللَّه، وهكذا كل الأمور.

فمن ثَمَّ لزمنا أن نتجه إلى ربنا وإلـهنا ومالكنا وخالقنا ورازقنا ومدبر أمرنا نسأله كل ما نريد، ونطلب منه أن يصرف عنا كل ما نكره، ونسأله أن يكشف كل كرب وأن يجلب كل فرجٍ، نسأله الأمن والأمان والسلامة والإيمان والدرجات العُلى والنعيم المقيم.

فكان لابد من السؤال، لا بد من الدعاء والإلحاح فيه والإخلاص ممتثلين أمر ربنا والآداب التي أدبنا بها، ونقلها إلينا رسولنا محمد ﷺ.

* * *

مزيد من الحث على الدعاء
والأمر به والترغيب فيه

• قال اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر: ٦٠].

• وقد قال النبي ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»[1] ثم قرأ هذه الآية: ﴿**وقال ربكم ادعوني..**﴾.

• وقال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٦].

• وقال تعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٥، ٥٦].

• وأخرج الترمذي[2] بإسناد حسن إلى سلمان الفارسي عن النبي ﷺ قال: «**إن اللَّه حيي كريم يستحيي إذا رفع الرَّجُل إليه يديه أن يردَّهما صفرًا خائبتين**».

وهذا حديث عظيم في الحث على الدعاء كذلك، حث اللَّه سبحانه وتعالى فيه على طلب الهداية منه وطلب الطعام وطلب الكسوة، وبيَّن ربنا سبحانه أن مسألتنا وعطاءه لنا لن يُنقص شيئًا مما عنده سبحانه:

• أخرج الإمام مسلم[3] في «صحيحه» من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن اللَّه تبارك وتعالى أنه قال: «**يا عبادي، إني حرمت الظلم**

---

(١) الترمذي (٥/ ٣٧٤) وهو صحيح، وأحمد (٤/ ٢٧١)، وغيرهما.

(٢) الترمذي (مع التحفة ٩/ ٥٤٤).

(٣) مسلم (حديث ٢٥٧٧).

على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا، يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديتُه فاستهدوني أهدكم.

يا عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم.

يا عبادي، كلكم عارٍ إلا من كسوتُهُ، فاستكسوني أَكْسُكُمْ.

يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفرُ الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم.

يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني.

يا عبادي، لو أن أولكم وآخرَكم وإنسَكم وجنَّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحدٍ منكم، ما زاد ذلك في مُلكِي شيئًا.

يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من مُلكِي شيئًا.

يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صَعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقصَ المخيطُ إذا أُدخل البحر.

يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد اللَّه، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه».

قال سعيد: كان أبو إدريس الخولاني، إذا حدث بهذا الحديث، جثا على ركبتيه.

* * *

مقدمات وأنواع من التوسلات بين يدي الدعاء

وينبغي للسائلين عمومًا أن يقدموا مقدمات بين يدي مسائلهم.

وهذه مقدمات ينبغي أن يتقدم بها الداعي قبل دعائه، وهي مقدمات حسنة ومستحبة، نذكر منها ما يلي:

- **حمد اللَّه وتمجيده والثناء عليه والصلاة على النبي ﷺ بين يدي الدعاء:**

فينبغي أن يحمد الداعي ربَّه عزَّ وجلَّ ويثني عليه بما هو له أهلٌ ويمجده كذلك ويصلي على النبي ﷺ ثم يدعو اللَّهَ بما شاء، وذلك لما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي[1] بسندٍ حسن من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه، قال: سمع رسول اللَّه رجلاً يدعو في صلاته لم يُمجِّد اللَّه تعالى ولم يُصلِّ على النبي ﷺ فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «**عجل هذا**» ثم دعاه فقال له أو لغيره: «**إذا صلى أحدُكم فليبدأ بتمجيد ربِّه عزَّ وجلَّ والثناء عليه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بعد بما شاء**».

- ويتأيد هذا أيضًا بما في سورة الفاتحة؛ ففي «صحيح مسلم»[2] من حديث أبي هريرة: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**قال اللَّه تعالى: قسمتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبدُ: الحمدُ للَّه رب العالمين، قال اللَّه تعالى: حمدني عبدي. وإذا قال: الرحمن الرحيم. قال اللَّه تعالى: أثنى عليَّ عبدي. وإذا قال: مالك يوم الدين. قال: مجَّدني عبدي (وقال**

---

(١) أحمد في «المسند» (٦/ ١٨)، وأبو داود (٢/ ١٦٢)، والنسائي (٣/ ٤٤)، والترمذي (٩/ ٤٤٩) بسندٍ حسن.

(٢) مسلم (حديث ٣٩٥).

مرّة: فوَّضَ إليَّ عبدي) فإذا قال: إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين .قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل».

فانظر كيف أن قول: «اهدنا الصراط المستقيم» ، وهو دعاء جاء بعد حمد اللَّه والثناء عليه وتمجيده، فمن ثَمَّ إذا قال العبد: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧]، قال اللَّه عزَّ وجلَّ: «هذا لعبدي ولعبدي ما سأل».

• وذكر أنس حديث الشفاعة[١] وفيه قال رسول اللَّه ﷺ: «.. فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيتُه وقعت ساجدًا، فيَدَعني ما شاء اللَّه أن يدعَني، ثم يقول: ارفعْ محمد، وقل يُسمع، واشفع تُشَفَّع، وسلْ تُعطه، قال: فأرفع رأسي، فأثني على ربي بثناء وتحميد يُعلِّمنيه»، قال: «ثم أشفع فيُحدُّ لي حدًا، فأخرُجُ فأدخِلُهم الجنة». قال قتادة: وسمعته يقول: «فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود الثالثة فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجدًا فيدعني ما شاء اللَّه أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمد وقل يسمع، واشفع تشفع، وسل تعطه»، قال: «فأرفع رأسي، فأثني على ربي بثناء وتحميد يُعلِّمنيه»، قال: «ثم أشفع فيحد لي حدًا فأخرج، فأدخلهم الجنة».

فجاءت شفاعة رسول اللَّه ﷺ ودعاؤه بعد سجوده للَّه وحمده والثناء عليه.

• وعن ابن عباس[٢] رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «اللهم لك الحمد، أنت نورُ السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت

(١) أخرجه البخاري (حديث ٧٤٤٠)، ومسلم (حديث ١٩٣).
(٢) البخاري (حديث ٦٣١٧)، ومسلم (حديث ٧٦٩).

قيم السموات والأرض، ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحق ووعدُك حقٌ، وقولك حقٌ ولقاؤك حقٌ، والجنة حقٌ والنار حقٌ والساعةُ حقٌ، والنبيون حقٌ ومحمد حقٌ، اللهم لك أسلمت وعليك توكلت وبك آمنت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدَّمْتُ وما أخَّرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت ـ أو ـ لا إله غيرك»

فجاء الدعاء بالمغفرة بعد الثناء على اللَّه عز وجل والإقرار التام له بالعبودية.

● وعن عائشة ﵂ قالت: كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي**»[١].

فجاء قوله عليه الصلاة والسلام: «**اللهم اغفر لي**» بعد قوله: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك**».

● وعنها أيضًا ﵂ قالت ـ وقد سئلت بأي شيء كان نبي اللَّه ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»[٢].

فجاء الدعاء بالهداية بعد الإقرار بالربوبية للَّه سبحانه وتعالى وحده.

---

(١) البخاري (مع الفتح ٢/ ٢٨١)، ومسلم (مع النووي ٤/ ٢٠١).

(٢) أخرجه مسلم (مع النووي ٦/ ٥٦)، وهذا الحديث قد حكم عليه أبو الفضل بن عمار الشهيد بالاضطراب، في كتاب «علل الأحاديث في كتاب الصحيح لمسلم بن الحجاج» (ص٨٢، ط: دار الهجرة، تحقيق علي بن حسن)، ووجه إعلاله بالاضطراب أنه من رواية عكرمة بن عمار عن يحيى بن أبي كثير، وروايته عنه ضعيفة، واللَّه أعلم.

- **ومن هذا الباب دعاء الاستخارة[١] أيضًا:**

فـيأتي الدعـاء بعـد صلاة الركـعـتين والثناء على اللّه والإقـرار له بالعلم والقدرة وتجرد العبد عن قـدرته (أي عن قدرة نفسه بقوله: «**فـإنك تقـدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علاَّم الغيوب**».

ثم يأتي بعد ذلك الدعاء «**اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي..**».

فيأتي الدعاء بعد الصلاة للّه والثناء على الرب سبحانه وتعالى.

- **ومن هذا الباب أيضًا:**قول النبي ﷺ: «**فأما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فَقَمِنٌ أن يستجاب لكم**»[٢].

فانظر كيف جاء الدعاء في السجود بعد تعظيم الرب في الركوع.

* * *

(١)حديث الاستخارة في البخاري (٦٣٨٢).
(٢)مسلم (مع النووي ٤/ ١٩٦).

سؤال الله عز وجل
والتوسل إليه بأسمائه الحسنى

• وتارة يكون الدعاء مشفوعًا بأسماء اللَّه الحسنى لقوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ [الأعراف: ١٨٠].

هكذا قال ربنا سبحانه وتعالى وبهذا أمر، وهذا الآية تحمل معنيين:

المعنى الأول: وللَّه الأسماء الحسنى فسموه بها، فهو اللَّه الملك القدوس السلام المؤمن المُهيمن العزيز الجبار المتكبر.. إلى آخر الأسماء التي سمَّى اللَّه بها نفسه أو سماه بها نبيُّه ﷺ.

فقد كان أهل الشرك يلحدون في أسماء اللَّه فاشتقوا العُزَّى من اسم العزيز، واشتقوا اللات من اللَّه.

أما أنتم يا أهل الإيمان فسموا اللَّه بما سمى به نفسه، وبما سماه نبيُّه ﷺ. وهذا المعنى الأول.

أما المعنى الثاني: وللَّه الأسماء الحسنى فاسألوه بها.

وعلى هذا المعنى الثاني فنسأله سبحانه قائلين يا رحمن، يا وهَّاب، يا رزاق، يا سميع، يا مجيب، وهكذا مع باقي الأسماء.

وقد كان النبي ﷺ يقول: «**أسألك بكل اسمٍ هو لكَ سميتَ به نفسَك أو أنزلتَه في كتابك أو علَّمتَهُ أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيعَ قلبي..**» الحديث. وسيأتي.

ولكن هنا أمرٌ ينبغي التفطن له، وهو اختيار اسمٍ من أسماء اللَّه موافقٌ للمسألة التي نريدها ونسألها.

فإذا سـألنا اللَّه الرزق فلنسأله باسمـه الرزاق، وإذا سألناه الرحمـة فلنسأله بالرحيم وبالرحمن، وإذا سألناه المغفرة فـلنسأله باسمه الغفور . . وهكذا باقي المسائل .

ولهذا أدلته المتعددة المتكاثرة من كتاب اللَّه ومن سنة رسول اللَّه ﷺ .

ولفظ الجلالة (اللَّـه) جامع لهذا كله، فـإذا قلتَ: يا اللَّه ارزقني، أو اللهم[1] ارزقني، أو اللهم انصرني، أو اللهم اهدنا، ونحو ذلك، فكله مستحبٌ أيضًا .

- فنبي اللَّه موسى عليـه السلام يسأل ربَّه فـيقول: ﴿ **فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٥٥] .
- وقوله: ﴿ **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٥١] .
- وعيسى عليـه السلام يقول: ﴿ **رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾ [المائدة: ١١٤] .
- ويعقـوب عليه السـلام يقول: ﴿ **سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [يوسف: ٩٨] .
- وسليمان عليـه السلام يقول: ﴿ **وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** ﴾ [ص: ٣٥] .
- وأهل الإيمان يقـــولون: ﴿ **رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ** ﴾ [آل عمران: ٨]، ويقـولون: ﴿ **رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ [المؤمنون: ١٠٩] .
- وقال تعالى: ﴿ **وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ [المؤمنون: ١١٨] .

---

(١) واللَّهم: معناها: يا اللَّه .

● ومن ذلك قول النبي ﷺ : **«اللهم منزل الكتاب ومُجريَ السَّحاب وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم»**[١] .

● ومن ذلك قول النبي ﷺ : **«أذْهِب البأس رب الناس، اشف وأنت الشافي لا شفاءَ إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقمًا»**[٢] .

● وقول النبي ﷺ : **«يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك»**[٣] .

قال القرطبي رحمه اللَّه: قوله تعالى: ﴿**فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ أي اطلبوا منه بأسمائه فيُطلب بكل اسمٍ ما يليق به، تقول: يا رحيم ارحمني، يا حكيم احكم لي، يا رزاق ارزقني، يا هادي اهدني، يا فتاح افتح لي، يا توَّاب تُبْ عليّ، وهكذا، فإن دعوت باسمٍ عامٍ قلتَ : يا مالك ارحمني، يا عزيز احكم لي، يا لطيف ارزقني، وإن دعوت بالأعمِّ الأعظم فقلت: يا اللَّه فهو متضمنٌ لكل اسم، ولا تقلْ يا رزاق اهدني، إلا أن تريد يا رزاق ارزقني الخير، قال ابن العربي وهكذا رتب دعاءك تكن من المخلصين.

قلتُ: فمن هنا يظهر خطأ من دعا فقال: (وأذل الشرك والمشركين برحمتك يا أرحم الراحمين)، فكيف يكون الإذلال بالرحمة؟!!

إن الرحمة تكون بها النجاة كما في قول موسى عليه السلام: ﴿**وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾ [يونس:٨٦].

فلينتبه لمثل هذا، والموفَّق من وفقه اللَّه.

---

(١) البخاري (مع الفتح ٦/ ١٥٦)، ومسلم في المغازي (مع النووي ٨/ ٢).

(٢) البخاري (مع الفتح ١٠/ ١٣١)، ومسلم (مع النووي ١٤/ ١٨٠).

(٣) صحيح، أخرجه أحمد (٤/ ١٨٢).

وهذا مثالٌ من أمثلة التوسلات بالأسماء الحسنى والصفات العُليا بين يدي الدعاء والمسألة إذا سألت ربَّك المغفرةَ:

فلا مانع من أن تقول:

يا غافر الذنب، ويا قابل التوب، يا عزيز يا غفار، يا حليم يا غفور، يا غفور يا رحيم، يا غفور يا تواب.

قلتَ - وقولك الحق: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر: ٥٣].

قلتَ في كتابك الكريم: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ**﴾ [طه: ٨٢].

علمنا من كتابك الكريم أنك تقبل التوبة عن عبادك وتعفو عن السيئات.

فقد قلتَ - وقولك الحق: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ**﴾ [الشورى: ٢٥].

وقلتَ: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [التوبة: ١٠٤].

علمنا أنك تحب التوابين، علمنا أنك ذو رحمة واسعة.

دعوتنا لتغفر لنا، فقلت: ﴿**يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ**﴾ [ابراهيم: ١٠].

وقلتَ: ﴿**وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [النساء: ١١٠].

علمنا أنك تريد أن تتوب علينا، إذْ قلتَ في كتابك الكريم: ﴿**وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ**﴾ [النساء: ٢٧].

أنت يا رب أهل للتقوى وأهل للمغفرة لا يغفر الذنوب إلا أنت.

تفرح بتوبة عبادك التائبين، وأوبة أوليائك المذنبين.

يا رب فاغفر لي ما قدمتُ وما أخَّرتُ وما أسررتُ وما أعلنتُ وما أسرفتُ وما أنت أعلم به منِّي.

وتسأل المغفرة لذنوبك التي ارْتَكَبْتَ ولآثامك التي اقْتَرفْتَ.

● **وفي مسألة الرزق،** لا بأس أن تقول:

وارزقنا وأنت خير الرازقين.

وتقول يا رب علمنا أن خزائن كل شيء بيديك كما قلتَ في كتابك الكريم: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ**﴾ [الحجر: ٢١]

وكما قلتَ: ﴿**وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [المنافقون: ٧].

يا رب أنت الغني، وأنت الرزاق ذو القوة المتين، لك ما في السموات وما في الأرض. يا رب أنت تبسط الرزق لمن تشاء وتقدر. يا رب يداك ملأى سحَّاء الليل والنهار. أنت ربٌ كريم، وأنت واسعٌ عليم.

إلى غير ذلك من الوارد في هذا الباب ثم تطلب الرزق وتسأله ربَّك سبحانه وتعالى.

ويلحق بهذا الباب قول النبي ﷺ: «**أَلَظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام**»(١).

وقوله: «**ألظُّوا**» أي: الزموا هذا واثبتوا عليه، وأكثروا من قوله والتلفظ به في دعائكم(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٧٧)، وغيره من حديث ربيعة بن عامر ﷺ سمعت النبي ﷺ فذكره، وهو صحيح. وله شاهد الصواب فيه الإرسال، أخرجه الترمذي (٣٥٢٥)، وغيره، وشاهد آخر ضعيف عند الترمذي أيضًا (٣٥٢٤).

(٢) نقلاً عن «لسان العرب».

التوسل إلى الله بفضله وسابق إحسانه ورحمته

• فمن هذا القبيل قول زكريا عليه السلام: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٤ - ٦].

فهذا نوع من أنواع الدعاء قُدِّم بالتوسل إلى اللَّه بسابق إحسانه وإجابته، كما قال ابن القيم رحمه اللَّه في «التفسير القيِّم»: فقد قيل: إنه دعاء المسألة. والمعنى إنك عودتني إجابتك وإسعافك ولم تشقني بالرد والحرمان، فهو توسل إليه بما سلف من إجابته وإحسانه، كما حكى أن رجلاً سأل رجلاً وقال: أنا الذي أحسنتَ إليَّ وقت كذا وكذا، فقال: مرحبًا بمن توسل إلينا بنا، وقضى حاجته.

قلتُ: فكأن زكريا عليه الصلاة والسلام يقول لربه عزَّ وجلَّ: يا رب يا دائم العطاء يا من تكرَّمتَ عليَّ ولم ترد دعواتي ولم تجعلني من قبل محرومًا، ولم تجعلني من قبل شقيًّا بالرد والحرمان استجب دعوتي فهب لي من لدنك وليًّا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيًّا.

• **ومن هذا أيضًا قول أولي الألباب الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨] فتوسلوا إلى اللَّه بسابق إحسانه إليهم وهو هدايته إياهم فكأنهم يقولون: يا ربنا يا من مننتَ علينا بالهداية وتفضَّلت علينا بها لا تزغ قلوبنا بعد هذه الهداية، ففي هذا اعتراف بسابق الجميل وعدم كفران للنعيم والإحسان، وكتقريب لهذا نوضح بعض ما ذكره ابن القيم فنقول، وباللَّه التوفيق:**

لو أن رجلاً جاء يطلب منك أن تتصدق إليه وتعطيه مائة جنيه مثلاً فأعطيته ثم جاءك من العام المقبل، وقال لك ـ متوسلاً إليك بسابق إحسانك ـ: أنا الذي أعطيتني في العام الماضي مائة جنيه، فحينئذ تعلم من حاله أنه ليس من النوع الذي يكفر الإحسان وينسى المعروف فحينئذ تعطيه وأنت منشرح الصدر راض عنه وعن شكره للمعروف، ولله المثل الأعلى.

ومن ذلك:

- قول الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

- وقول يوسف ﷺ: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

- وقول الخليل عليه السلام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٣٩ ـ ٤١].

فقدمت الملائكة ثناءً على ربها عز وجل.

وقدم يوسف عليه السلام اعترافًا بالفضل وثناءً على الله.

وقدم إبراهيم حمدًا لله وشكرًا.

كل ذلك بين يدي الدعاء.

الاعتراف بالذنب بين يدي الدعاء:

- قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ

الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القصص:١٦].

وقال أبو بكر للنبي ﷺ: يا رسول اللَّه علِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال: «**قل اللهم إني ظلمت نفسي ظُلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**»[١].

- **وكذلك ففي سيد الاستغفار:**

«**اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعتُ، أبوءُ لك بنعمتك عليَّ وأبوءُ لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»[٢].

تنزيه الرب عز وجل بين يدي الدعاء:

فمن ذلك قول أهل الإيمان: ﴿**رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران:١٩١].

فنزهوا الرب عز وجل عن الخلق بالباطل ثم سألوه النجاة والوقاية من النار.

الاستسلام وإظهار الضعف والعجز بين يدي الدعاء:

قال تعالى: ﴿**ادعوا ربكم تضرعا وخفية**﴾ [الأعراف:٥٥].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾ [الأنبياء:٩٠].

فينبغي أن يظهر الداعي ضعفه وانكساره بين يدي ربه سبحانه وتعالى قبل

---

(١) البخاري (مع الفتح ٢/٣١٧)، ومسلم (مع النووي ١٧/٢٨).
(٢) البخاري (مع الفتح ١١/٩٧).

دعائه، وها هو زكريا عليه السلام يظهر ضعفه وانكساره فيقول: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤].

فها هي يا رب حالي من الضعف بين يديك.

وكذلك يتبرأ يوسف عليه السلام من الحول والقوة إلا بالله فيقول: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

وكذلك إظهار التوكل على الله بين يدي الدعاء:

- فمن ذلك قول أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا﴾.
- وكذلك قول قوم موسى: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٥) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس: ٨٥، ٨٦].

تَوَسَّلْ إلى الله بصالح الأعمال:

- **وأحيانًا يكون الدعاء مسبوقًا بالتوسل إلى اللّه تعالى بصالح الأعمال:**

ومن ذلك قول المؤمنين: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣] فتوسلوا إلى اللّه سبحانه بما سلف من إيمانهم به واتباعهم لرسوله ﷺ.

- ومن هذا القبيل أيضًا قول المؤمنين: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣] فتوسلوا إلى اللّه سبحانه بإجابتهم لمنادي الإيمان.
- وقولهم كذلك: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

● وأخرج البخاري ومسلم[1] من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

«بينما ثلاثةُ نفر ممن كان قبلكم إذ أصابهم مطر، فأووا إلى غار فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه والله يا هؤلاء لا يُنجيكم إلا الصِّدق، فليَدْع كلُّ رجُل منكم بما يعلم أنه قد صدَقَ فيه، فقال واحدٌ منهم: اللهم إن كنتَ تعلم أنه كان لي أجير عمل لي على فرق من أُرُزّ، فذهب وتركه، وأني عمدْتُ إلى ذلك الفرق فزرعتُه، فصار من أمره أني اشتريتُ منه بقراً، وأنه أتاني يطلب أجرَه، فقلتُ له: اعمدْ إلى تلك البقرِ فسُقْها، فقال لي: إنما لي عندك فرَق من أرز، فقلتُ له: اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفرَق فساقها، فإن كنتَ تعلم أني فعلتُ ذلك من خشيتك ففرِّج عنَّا، فانساخَت عنهم الصخرة.

فقال الآخرُ: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنتُ آتيهما كل ليلة بلبن غنم لي، فأبطأتُ عنهما ليلةً، فجئت وقد رقدا، وأهلي وعيالي يتضاغونَ من الجُوع، وكنتُ لا أسقيهم حتى يشرب أبواي، فكرهتُ أن أوقظهما، وكرهتُ أن أدَعَهما فيستكنّا لشربتهما، فلم أزلْ أنتظرُ حتى طلعَ الفجر، فإن كنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذلك من خشيتك ففرِّجْ عنا . فانساخَت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء.

فقال الآخر: اللهم إن كنتَ تعلم أنه كان لي ابنةُ عمٍّ من أحب الناس إليّ، وأني راودْتُها عن نفسها فأبَتْ إلا أن آتيها بمائة دينار، فطلبتها حتى قدرْتُ، فأتيتُها بها فدفَعْتُها إليها، فأمكنَتْني من نفسها، فلما قعَدْتُ بين رجلَيها فقالت اتَّق الله ولا تَفُضَّ الخاتَمَ إلا بحقِّه، فقُمتُ وتركتُ المائة الدِّينار، فإن كنتَ تعلم أني فعلتُ ذلك من خشيتك ففرِّجْ عنا، ففرَّجَ اللَّهُ عنهم فخرجوا».

---

(1) البخاري (٣٤٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

وعمومًا فإنه ينبغي أيضًا أن يصاحب الدعاء بالأعمال الصالحة، من صدقات وصلوات وتلاوة وذكر وغير ذلك، فإن الأعمال الصالحة سببٌ في إجابة الدعوة:

• قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فمع دعائهم كانوا يسارعون في الخيرات.

• وكذلك فعباد الرحمن يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا ويقولون ﴿**رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا**﴾ [الفرقان: ٦٥].

فدعاؤهم مع سجودهم وقيامهم.

• وكذلك إبراهيم الخليل وولده إسماعيل عليهما السلام يرفعان القواعد من البيت ويقولان: ﴿**رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [البقرة: ١٢٧]

فمع بنائهم المسجد ورفعهم القواعد يدعوان ويسألان القبول ويسألان الإسلام لهما ولذريتها بقولهما: ﴿**رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . .**﴾ [البقرة: ١٢٨].

• وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي قال: كنت أبيت مع رسول اللَّه ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: «**سل**» فقلتُ: أسألك مرافقتك في الجنة قال: «**أو غير ذلك؟!**» قلتُ: هو ذاك، قال: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**».

(١) مسلم (حديث ٤٨٩).

الاستنصار بدعاء الصالحين والضعفاء:

● أخرج البخاري ومسلم[(١)] من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يأتي على الناس زمانٌ. يغزو فئامٌ مـن الناس، فيُقال لهم: فيكم من رأى رسولَ اللَّه ﷺ ؟ فيقولون: نعم، فيُفتح لهم، ثم يغزو فئامٌ من الناس، فيقال لهم: فيكم من رأى من صـحبَ رسولَ اللَّه ﷺ فيـقولون: نعم، فيـفتح لهم، ثم يغزو فئامٌ من الناس، فيقـال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسولَ اللَّه ﷺ ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم**».

● وقـال النبي ﷺ لسعـد بن أبي وقـاص ﷺ، لما رأى سعـدٌ أن له فضلاً على من سواه: «**يا سعد وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم**»[(٢)].

● وقـــال النـبي ﷺ: «**أبغـوني ضـعفـاءكم فـإنما ترزقـون وتنصـرون بضعفائكم**»[(٣)] .

● وعند النسائي[(٤)] رواية بلفظ: «**إنما ينصر اللَّه هذه الأُمَّة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**».

فإذا خرج الخـارج يقول: يا رب إني أقوم على أطفالٍ صـغار وأنفق على عجزةٍ ضعفاء وأكفـل أرامل وأيتام ـ كل ذلك مع إظهار الضعف للَّه والحاجة إليه ـ فيا رب ارزقني برزق هؤلاء، فبمشيئـة اللَّه سيُجاب إلى طلبه وستقضى له حاجته.

---

(١) البخاري (حديث ٣٦٤٩)، ومسلم (٢٥٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٢٨٩٦).

(٣) أخرجه الترمـذي (١٧٠٢) بسند صحيح من حديث أبي الدرداء ﷺ مرفـوعًا، وأخرجه أيضًا أبو داود (٢٥٩٤)، والنسائي (٦/ ٤٥، ٤٦)، وغيرهم.

(٤) النسائي (٦/ ٤٥).

بيان سبب الدعوة التي يُدعى بها

• وهناك في بعض الأحيان يستحب أن تبين سبب الدعوة التي تدعو بها، وفي هذا خيرٌ من وجوه:

أحدها: أن فيه اتباعًا وتأسيًا بمن قبلنا من أهل الصلاح.

الثاني: أن في ذكر سبب الدعوة نوعًا من أنواع التوسل بهذا السبب.

الثالث: أن بيان سبب الدعوة يجعل الشخص يراجع نفسه في الدعوة وهل سببها مشروع أم غير مشروع، ومن ثَمَّ هل الدعوة مشروعة أم غير مشروعة.

وثَمَّ فوائد أُخر في بيان سبب الدعوة، وهذه بعض الأدلة الواردة في هذا الصدد.

• يدعو نبي اللَّه نوح عليه السلام على قومه فيقول: ﴿**رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً**﴾ ثم يُعلل ذلك ببيان خوفه على المؤمنين الذين معه فيقول: ﴿**إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً**﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧].

• وكذلك نبي اللَّه إبراهيم عليه السلام يدعو لأهله الذين تركهم عند بيت اللَّه الحرام فيقول: ﴿**رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾ [إبراهيم: ٣٧].

فسأل اللَّه لهم الرزق لعلهم يشكرون.

• ونبي اللَّه موسى عليه السلام يقول: ﴿**رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ**﴾ [يونس: ٨٨].

فيعلل دعوته بالطمس على أمـوالهم بأن هذه الأموال تحملهم على إضلال العباد عن طريق اللَّه سبحانه وتعالى.

• ويقول أيضًا: ﴿ **وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي** ﴾ [طه:٢٧، ٢٨] ويقول كذلك: ﴿ **وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا** ﴾ [طه:٢٩ - ٣٤].

• ونبي اللَّه عيسى عليـه السلام يقول: ﴿ **اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ** ﴾ [المائدة:١١٤].

فسـأل المائدة للدلالة على صدقـه فيمـا يخبر به عن اللَّه عـز وجل وسأل المائدة لتكون عـيدًا يُشكر فـيه الربُّ سـبحـانه وتعالى ويُعظـم فيه الـرب عزَّ وجلَّ.

• وزكريا عليه السلام يقول: ﴿ **فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ** ﴾ [مريم:٥، ٦] فسأل الولدَ كي يرث العلمَ والنبوة، وقد كان يخشى من بني عمومته ألا يقـيموا الدِّين كما قال: ﴿ **وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي** ﴾ [مريم:٥].

• ونبينا محمد ﷺ يدعو يوم بدر فيقول: «**اللهم إن تهْلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعْبدُ في الأرض**».

• وكذلك فقـد جاء الصحابي يقول لرسـول اللَّه ﷺ: يا رسول اللَّه، هلكت المواشي وانقطعت السُبل فادع اللَّه أن يغيثنا... الحديث، وقد تقدم.

فذكر سبب الدعاء سائغٌ ومستحب في كثير من الأحيان!

وعليه فإذا دعوت وقلتَ: اللهم ارزقني فإني أرغب في حج بيتك المحرم، وأرغب في إنشاء المساجد وأحب كفالة الأيتام، وأحب أن أتصدق فهذه وجوه

حسان كلها بإذن اللَّه.

وإن قلتَ كذلك: اللهم ارزقني ولدًا صالحًا يُعلِّم الناس كتابك وسنة نبيك محمد ﷺ فهذا أيضًا وجه حسن.

وكذلك إذا قلتَ: يا رب أريد التعفف فارزقني بزوجة صالحة.

وإن قلتَ: اللهم اشفني مما ألمَّ بي أشهـد لك جنازة، وأعود لك مريضًا، وأنكأ لك عدوًا، ونحو ذلك.. فهذه كلها وجوه حسان وموفقة، واللَّه تعالى أعلم.

وأيضًا فيجوز الدعاء بلا مقدمات:

وقد ورد كمٌّ هائل من الدعوات عن رسول اللَّه ﷺ فيه أن النبي ﷺ دعا بلا مقدمات، وسنذكر كثيـرًا منها في ثنايا كتابنا هذا إن شاء اللَّه تعالى، ونجتَزِئُ من ذلك في هذا المقام بما:

أخرجه مسلم[1] في «صحيحه» من حديث عبد اللَّه رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**اللهم إني أسألك الهُدى والتُّقَى والعفافَ والغِنَى**».

* * *

(١)مسلم (حديث ٢٠٨٧).

تطييب المطعم والمشرب والملبس حتى يجاب الدعاء

● أخرج مسلم في «صحيحه»[١] من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا..»** الحديث، وقد تقدم. وفيه: **«ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب! يا رب! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟»**.

● فيأتي مَن يدعو ربه وهو آكل لأموال اليتامى ظلمًا فيأكل في بطنه نارًا وهو لا يشعر فيدعو ويدعو فأنى يستجاب لمثل هذا؟!

● ويأتي آخر يدعو ربه ويدعو وهو آكل للربا أو شاهد عليه أو كاتبه أو موكله فيدعو ولا يستجاب ولا يعرف ما السبب وراء ذلك، والسبب لا يخفى على أولي الألباب.

● ويأتي ثالث من المصورين أو الذين يأكلون من الكذب على المسلمين والدجل عليهم وغشهم والتجسس عليهم والوشاية بينهم وتسريب المخدرات والخمور إليهم ونشر الفاحشة فيهم، فيدعو ويدعو ويدعو فلا يستجاب لمثل هذا، ولا يشعر إلا وهو مبتلى في ولده وفي زوجته وفي أمواله وفي بدنه بالأسقام والأوجاع والأوبئة[٢]، والمسكين لا يعرف ما السبب وراء ذلك كله؟ ألا وهو عدم تطييب المطعم والمشرب والملبس وتحري الحلال من ذلك كله.

---

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٢) والمؤمن قد يبتلى بشيء من ذلك، ولكن فرق بين هذا وذاك، فتلك الابتلاءات رفعًا لدرجات المؤمنين وحطًا لخطاياهم، أما هي للكافرين فانتقام من العزيز الجبار.

ما يقوله من يُريد الاجتهاد في الدعاء

● والتوفيق للـدعاء فضل من اللَّه يؤتيه من يشـاء، ولأن الموفق من وفقه اللَّه فجـديرٌ بالعبـد أن يسأل ربَّه التـوفيق، كـما قال نـبي اللَّه شُعيـب عليه السلام: ﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ**﴾ [يونس: ٨٨].

وكذلك لأن المهـتدي من هداه اللَّه، فـلا يهتدي شـخص إلى الطيب من القول إلا إذا هداه اللَّه، قال تعالى: ﴿**وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ**﴾ [الحج: ٢٤].

وكذلك فـالموفق للدعاء من وفـقه اللَّه، ومن ثَمَّ فلنسأل الـلَّه العون على الدعاء والتوفيق له، قال النبي ﷺ: «**أتحبون أن تجتـهدوا في الدعاء؟ قولوا: اللهم أعنَّا على شُكْرِك وذِكْرِك وحُسْنِ عبادتك**»[1].

* * *

(١) أحمد في «المسند» (٢/ ٢٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا وسنده صحيح.

ارتفاع الهمم في الدعاء

• وينبغي أن ترتفع الهمم في الدعاء فإن اللَّه لا يتعاظمه شيءٌ؛ فيدُهُ ملأى سحَّاء الليل والنهار، وخزائنُه لا تنفد، وقد قال النبي ﷺ: «**إذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي إن شئتَ، ولكن ليعزم المسألة، وليُعظِّم الرغبة فإن اللَّه لا يتعاظمُهُ شيءٌ أعطاه**»[1].

• وأخرج البخاري[2] في «صحيحه» من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**من آمن باللَّه وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقًّا على اللَّه أن يُدْخلَه الجنة، جاهد في سبيل اللَّه أو جلس في أرضه التي وَلِدَ فيها**» فقالوا: يا رسول اللَّه، أفلا نُبَشِّرُ الناس؟ قال: «**إن في الجنة مائة درجة أعدَّها اللَّه للمجاهدين في سبيل اللَّه ما بين الدرجتيْن كما بين السماء والأرض فإذا سألتم اللَّه فاسألوه الفرْدَوس فإنه أوْسطُ الجنة وأعلى الجنة**» أراه قال: «**وفوقه عرشُ الرَّحْمَنِ ـ ومنه تَفجَّر أنهارُ الجنَّة**».

• وأخرج مسلم[3] في «صحيحه» من طريق عبد اللَّه بن مسعود ﷺ قال: قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ: «اللهم أمتعني بزوجي رسول اللَّه ﷺ وبأبي أبي سُفيان، وبأخي: معاوية، قال: فقال النبي ﷺ: «**قد سألت اللَّهَ لآجال مضروبة، وأيامٍ معدودة، وأرزاق مقسومة، لن يُعَجِّلَ شيئًا قبل حَلِّه، أو يُؤَخِّرَ شيئًا عن حَلِّه، ولو كُنت سألت اللَّهَ أن يُعيذك من عذابٍ في النار، أو عذابٍ في القبر، كان خيرًا وأفضل**».

---

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٧٩) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا.

(٢) البخاري (حديث ٢٧٩٠).

(٣) مسلم (حديث ٢٦٦٣).

● وأخرج الحاكم وغيرُهُ(١) بإسناد حسن عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: نزل رسول اللَّه ﷺ بأعرابي فأكرمه، فقال له رسول اللَّه ﷺ: «**تعهدنا ائتنا**» فأتاه الأعرابي، فقال له رسول اللَّه ﷺ: «**ما حاجتك؟**» فقال: ناقة برحلها وبحر لبنها أهلي، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**عجز هذا أن يكون كعجوز بني إسرائيل**» فقال له أصحابُهُ: ما عجوز بني إسرائيل يا رسول اللَّه؟ فقال: «**إن موسى حين أراد أن يسير ببني إسرائيل ضل عنه الطريق، فقال لبني إسرائيل: ما هذا؟ قال: فقال له علماء بني إسرائيل: إنَّ يوسف عليه السلام حين حضره الموت أخذ علينا موثقًا من اللَّه أن لا نخرج من مصر حتى تنقل عظامه معنا، فقال موسى: أيكم يدري قبر يوسف؟ فقال علماء بني إسرائيل: ما يعلم أحد مكان قبره إلا عجوز لبني إسرائيل، فأرسل إليها موسى فقال: دلِّينا على قبر يوسف، قالت: لا واللَّه حتى تعطيني حكمي، فقال لها: ما حكمك؟ قالت: حكمي أن أكون معك في الجنة فكأنه كره ذلك، قال: فقيل له: أعطها حكمها، فأعطاها حكمها، فانطلقت بهم إلى بحيرة مستنقعة ماء، فقالت لهم: أنضبوا هذا الماء فلما أنضبوا قالت لهم: احفروا فحفروا، فاستخرجوا عظام يوسف، فلما أن أقلوه من الأرض إذ الطريق مثل ضوء النهار**».

* * *

(١) الحاكم (٢/ ٤٠٤، ٥٧١)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
قلتُ (مصطفى): وإن كان الإسناد حسنًا إلا أن في نفسي منه شيئًا أيضًا، فلتنظر كتب العلل بمزيد من البحث والتدقيق، وإنما أوردتُه لسلامة سنده، وسلامة معنى الجزء المستدل به وهو ارتفاع الهمة في الدعاء، واللَّه أعلم.

تحري أوقات الإجابة

● وينبغي أن يُكثر العبدُ من الدعـاء في كل وقتٍ وحين فاللَّه سميع قريب مجيب ولكن عليه أن يخص الأوقات التي حث رسـول اللَّه على الدعاء فيها بمزيدٍ من الاهتمـام، فالإجابة فيهـا أرجى والدعاء فيهـا أسمع والقبول فـيها أقرب، واللَّه وحده المستعان، ومن هذه الأوقات ما يلي:

الثلثُ الأخير من الليل:

● وذلك لحديث أبـي هريرة ﷺ في «الصحـيحين»[١] عن رسـول اللَّه ﷺ أنه قال: **«يتنزل ربُّنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلثُ الليل الآخرُ فيقول: من يـدعوني فأستجيب له، منْ يسألني فأعطيـه، من يستغفرني فأغفر له»**.

● وأخرج مسلم[٢] من حديث جابر ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«إن من الليل ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ يسألِ اللَّهَ خيرًا إلا أعطاهُ إيَّاه»**.

● وفي رواية لمـسلم[٣] : **«إن في الليل لساعة لا يوافقـها رجلٌ مسلمٌ يسأل اللَّه خيرًا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إيَّاه، وذلك كل ليلة»**.

وكذلك فهناك ساعة يوم الجمعة يستجاب فيها الدعاء:

● قال النبي ﷺ : **«في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها مسلمٌ وهو قائمٌ يُصلِّي يسأل اللَّه خيرًا إلا أعطاه»**[٤] وقال بيده، قلنا يقللها يزهدها.

(١) البخاري (مع الفتح ١١/١٢٨)، ومسلم (مع النووي ٦/٣٦).
(٢) مسلم (مع النووي ٦/٣٦).
(٣) مسلم (٦/ ٣٥).
(٤) البـخاري (مع الفـتح١١/١٩٩)، ومـسلم (مع النووي ٦/ ١٣٩) من حـديث أبي هريرة =

وقد تعـددت أقوال العلماء في تحـديد هذه الساعة، فـورد عند مسلم من حديث أبي موسى رضي الله عنه ـ في شأن ساعة الجمعة ـ سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**هي ما بين أن يجلس الإمامُ إلى أن تقضى الصلاة**»[١] .

إلا أن هذا الحـديث مـعلول ولا يصح[٢] ، وقـد أعله الحـافظ الدارقطني رحـمـه اللّه تعـالى، وذكـر الحـافظ ابن حـجـر أيضًـا أنه أُعلّ بالاضطراب والانقطاع[٣] .

● وورد حديث آخر في تحديدها، وإسناده صحيح، إلا أن له علة أيضًا، وهو حديث جابر بن عبـد اللّه رضي الله عنهما عن رسول اللّه ﷺ، أنه قال: «**يـوم الجمعة ثنتا عشرة** ـ يريد ساعة ـ **لا يوجد مُسلم يسأل اللّه عز وجل شيئًا إلا آتاه اللّه عز وجل فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر**»[٤] .

وهذا أقرب الأقوال في تحديدها[٥] ، ومع ذلك فينبغي أن يجتهد الشخص

= رضي الله عنه مرفوعًا.

(١) مسلم (مع النووي ٦/ ١٤٠)، وأبو داود (حديث ١٠٤٩).

(٢) أعني حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٣) انظر «الفتح» (٢/ ٤٢٢)، وكتاب «التتبع» للدارقطني تعليق شيخنا مقبل بن هادي ـ حفظه اللّه.

(٤) أبو داود (١/ ٦٣٦)، والنسائي (٢/ ٥٧٢).

(٥) ذكر الحافظ في تحديد تلك الساعة في كتاب الجمعة حوالي ٤٠قولاً ـ أربعين قولاً ـ وقال في «الفتح» (١١/١٩٩): . . .واتفق لي نظير ذلك في ليلة القـدر، وقد ظفرت بحديث يظهر منه وجه المناسبة بينهما في العدد المذكور وهو ما أخرجه أحمد وصححه ابن خزيمة من طريق سعيد بن الحارث عن أبي سلمة قـال: قلت: يا أبا سعيد، إن أبا هريرة حدثنا عن الساعة التي في الجمـعة، فقال: سألت عنها النبي ﷺ فقـال: «إني كنت أعلمتها ثم أنسيتها كما أنسيت ليلة القـدر»، وفي الحديث إشارة إلى أن كل رواية جاء فيها تعيين وقت الساعة المذكورة مرفوعًا وهم، واللّه أعلم.

في الدعاء يوم الجمعة عمومًا.

الدعاء بين الأذان والإقامة:

- وذلك لقول النبي ﷺ: «**الدعوة لا تُردُّ بين الأذان والإقامة فادعوا**»[١].

وكذلك حين تقام الصلاة:

- وذلك لقول رسول اللَّه ﷺ: «**ساعتان لا تُردُّ على داعٍ دعوته: حين تُقام الصلاة، وفي الصف في سبيل اللَّه**».

- أخرجه الترمذي[٢] بسندٍ صحيح لغيره، وله متابع بلفظ: «**ساعتان تفتح فيهما أبواب السماء، عند حضور الصلاة وعند الصف**»[٣].

وكذلك يستحب الدعاء في السجود:

- لقول النبي ﷺ: «**أقرب ما يكون العبدُ من ربِّه وهو ساجدٌ فأكثروا الدعاء**»[٤].

ومن أوقات استحباب الدعاء أيضًا: الدعاء بعد الصلاة:

وذلك للآتي ذكره:

- قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ**﴾ [الشرح: ٧]، وقد ورد في تفسيرها أثر ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد ضعيف عند الطبري أنه قال: فإذا فرغت مما فُرض عليك من الصلاة فسل اللَّه وارغب إليه وانصب له، وورد عن قتادة بإسناد

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٢٥)، وأبو داود (١/ ٣٥٨)، والترمذي (١/ ٦٢٤ مع تحفة الأحوذي) وقال: حسن صحيح غريب، وغيرهم، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه ابن حبان (موارد الظمآن ٢٩٧).

(٣) عند ابن حبان (موارد ٢٩٨).

(٤) أخرجه مسلم (مع النووي ٤/ ٢٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

صحيح في تفسيرها ـ عند الطبري ـ أنه قال: أمره إذا فرغ من صلاته أن يبالغ في دعائه.

• واستدل القائلون بمشروعية الدعاء بعد الصلاة أيضًا بقول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه: «**أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[1].

• واستدلوا أيضًا بما أخرجه مسلم من حديث علي رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ كان إذا سلَّم قال: «**اللهم اغفر لي ما قدمتُ وما أخَّرتُ وما أسررتُ وما أعلنتُ وما أسرفت وما أنت أعلم به منِّي أنت المقدم وأنت المؤخِّر لا إله إلا أنت**»[2].

• وبما أخرجه مسلم[3] أيضًا من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كنا إذا صلينا خلف رسول اللَّه ﷺ أحببنا أن نكون عن يمينه يقبل علينا بوجهه، قال فسمعته يقول: «**رب قني عذابك يوم تبعث (أو تجمع) عبادك**».

• وما أخرجه البخاري[4] من طريق عمرو بن ميمون الأودي أنه قال: كان سعد يعلم بنيه هؤلاء الكلمات كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة ويقول: إن رسول اللَّه ﷺ كان يتعوَّذ منهن دبر الصلاة: «**اللهم إني أعوذ بك من الجُبْنِ وأعوذ بك أن أُرَدَّ إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر**».

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ١٨٠)، والنسائي (٣/ ٥٣)، وابن السني (١١٦)، وأحمد (٥/ ٢٤٥، ٢٤٧)، وابن حبان (٢٣٤٥).

(٢) أخرجه مسلم (٧٧١) ص (٥٣٦).

(٣) أخرجه مسلم (٧٠٩).

(٤) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦/ ٣٥)، والترمذي (مع التحفة ١٠/ ١٤)، والنسائي (ج٧ باب التعوذ).

• واستدلوا أيضًا بحديث أبي أُمـامة ﷺ قال: قيل: يا رسول اللَّه، أي الدعاء أسمع؟ قال: «**جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات**»[١] ، إلا أن هذا الحديث ضعيف خاصة قوله: «**ودبر الصلوات المكتوبات**» فهو من طريق عبد الرحمن بن سابط عن أبي أُمامة ولم يسمع من أبي أمامة ﷺ.

• وقـد ورد هذا الحديث من طرق عن أبي أُمـامة عن عـمرو بن عـبسـة مرفوعًا، ومن طرق أخرى عن عمرو بن عبسة مرفوعًا، وكل هذه الطرق عن عمرو بن عبسة فيها مقال، ومع ذلك ليس فيها: «**ودبر الصلوات المكتوبات**».

• واستـدلوا أيضًا بعـمومـات ألا وهي: أن الدعاء يشـرع بعد الأعـمال الصالحة، ومنها الصلاة وذلك كدعاء الاستخارة وغيره.

• وقـد أجاب قـائلو هذا القول على أدلـة المانعين للدعاء بما حـاصله أن حديث عائشة ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا سلَّم لم يقعد إلا مقدار ما يقول: «**اللهم أنت السلام..**» الحديث[٢] المراد منه نفي الجلوس على هيئة المصلي قبل أن يسلم، فهو يجلس على هيئة المصلي هذا القدر: «**اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت ذا الجلال والإكرام..**» ثم يلتفت إلى أصحابه.

• وأجـابوا على القـول القـائل بأن دبر الشـيء منه بما حـاصله: أن دبر الشيء قد يكون منه أحيانًا، وأحيـانًا أُخر يكون خارجًا عنه، فالنبي ﷺ لما علَّم أصحـابه التسبـيح والتحميـد والتكبير ثلاثـًا وثلاثين دبر كل صلاة يعلم الجميع أن المراد بعد انتـهاء الصلاة والتسليم منها، وكذلك حـثه عليه الصلاة والسلام على قـراءة آية الكرسي[٣] دبر كل صلاة ـ عند من صحـحه ـ فإنما

(١) أخرجه الترمذي (حديث ٣٤٩٩)، والنسائي «في عمل اليوم والليلة» (١٠٨).
(٢) أخرجه مسلم (ص٤١٤) حديث (٥٩٢).
(٣) أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (حديث ١٢١).

المراد منه بعد الصلاة.

أما القائلون بمشروعية الدعاء بعد الصلاة فمنهم الإمامُ الشافعيُّ رحمه اللَّه تعالى فقد قال في «الأم»: وأستحب للمصلي منفردًا وللمأموم أن يطيل الذِّكر بعد الصلاة ويكثر الدعاء رجاء الإجابة بعد المكتوبة.

وقال النووي في «المجموع»: ويستحب أن يدعو أيضًا بعد السلام بالاتفاق.

قلتُ: ويظهر لي أنه أراد اتفاق الشافعية واللَّه أعلم.

وقال ابن قدامة في «المغني»: ويستحب ذكر اللَّه والدعاء عقيب سلامه ويستحب من ذلك ما ورد به الأثر.

ودعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجاب:

- أخرج الإمام مسلم [1] في «صحيحه» من طريق صفوان وهو ابن عبد اللَّه بن صفوان وكانت تحته الدرداء، قال: قدمتُ الشام، فأتيتُ أبا الدرداء في منزله فلم أجده ووجدت أم الدرداء فقالت: أتريد الحجَّ العام؟ فقلتُ: نعم، قالت: فادع اللَّه لنا بخير، فإن النبي ﷺ كان يقول: «**دعوة المرء المسلم لأخيه، بظهر الغيب، مُستجابةٌ(*) عند رأسه ملكٌ مُوَكَّلٌ، كلما دعا لأخيه بخيرٍ، قال الملَكُ المُوَكَّلُ به: آمين. ولك بمثلٍ**».

قال: فخرجتُ إلى السوق فلقيتُ أبا الدرداء فقال لي مثل ذلك. يرويه عن النبي ﷺ.

- وعند مسلم [2] كذلك من طريق طلحة بن عبد اللَّه بن كريز، عن أم

---

(١) مسلم (حديث ٢٧٣٣).

(٢) مسلم (حديث ٢٧٣٢).

(*) بظهر الغيب أي: في غياب المدعو له أو في سره.

الدرداء، عن أبي الدرداء قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ما من عبدٍ مسلمٍ يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك: ولك بمثلٍ»**.

ودعوة المظلوم مستجابة:

• أخرج البخاري ومسلم[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول اللَّه ﷺ بعث معاذًا إلى اليمن، فقال: **«اتَّقِ دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين اللَّه حجاب»**.

• وهذا صالحٌ مظلوم قد استجاب اللَّه دعاءه، وهو الصحابي الكريم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

• أخرج البخاري[2] من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: شكَا أهلُ الكوفة سعدًا إلى عمرَ رضي الله عنه، فعزله ، واستعمل عليهم عمَّارًا، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يُحسن يُصلِّي، فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي، قال أبو إسحاق: أما أنا واللَّه فإني كنتُ أُصلي بهم صلاة رسولِ اللَّه ﷺ ما أُخرمُ عنها، أُصلي صلاة العشاء فأركُدُ في الأُولِيين وأُخِفُّ في الأُخريين، قال: ذاك الظنُّ بك يا أبا إسحاق، فأرسلَ معه رجلاً - أو رجالاً - إلى الكوفة فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يدع مسجدًا إلا سأل عنه، ويُثنون معروفًا، حتى دخل مسجدًا لبني عبس، فقام رجلٌ منهم يقال له: أسامة بن قتادة يُكْنى أبا سعدة قال: أما إذ نشدتنا فإن سعدًا كان لا يسير بالسَّرِيَّة، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية.

قال سعدٌ: أما واللَّه لأدْعُوَنَّ بثلاثٍ: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا قام

---

(١) البخاري (حديث ٢٤٤٨)، ومسلم (حديث ١٩).

(٢) البخاري (حديث ٧٥٥)، وأصله عند مسلم (حديث ٤٥٣).

رياءً وسمعةً فأطِلْ عمرَهُ، وأطل فقرَه، وعرِّضْه بالفتن.

وكان بعد إذا سُئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوةُ سعد.

قال عبد الملك: فأنا رأيتُه بعدُ قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطريق يغمزُهنَّ.

وكذلك فالصائم دعاؤه مستجاب:

- أخرج ابن ماجه بإسناد حسن عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ثلاثة لا تُردُّ دعوتُهُمْ: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم يرفعها اللَّه دون الغمام يوم القيامة وتفتح لها أبواب السماء**»[1]

* * *

---

(١) ابن ماجه (حديث ١٧٥٢).

وعمومًا فيستحب الدعاء بين يدي الأعمال الصالحة وفي ثناياها وعقبها

• فعباد الرحمن ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤، ٦٥].

فانظر كيف جاء دعاؤهم مع صلاتهم.

• وكذلك فالخليل إبراهيم يرفع القواعد من البيت ومعه ولده إسماعيل ويقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

• وكذلك ذكر اللَّه أنبياءه عليهم صلوات اللَّه وسلامه فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فدعاؤهم مع مسارتهم في الخيرات.

وبين يدي الجهاد دعاء:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

وكذلك قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا[1] ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦، ١٤٧].

---

(١) لما علموا أن عدوهم قد يتسلط عليهم بسبب ذنوبهم، وكذلك فذنوبهم قد توهنهم وتضعف قوتهم سألوا ربهم المغفرة لذنوبهم، بل واعترفوا بإسرافهم في أمرهم وسألوا ربهم المغفرة أيضًا، ثم سألوه الثبات والنصر.

وعند الخروج للصلاة دعاء:

• أخرج البخاري ومسلم[١] من حديث ابن عباس ﵄ - واللفظ لمسلم - عن عبد اللَّه بن عباس، أنه رقد عند رسول اللَّه ﷺ فاستيقظ فتسوَّك وتوضأ وهو يقول: «﴿**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب**﴾» فقرأ هؤلاء الآيات حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين، فأطال فيهما القيام والركوع والسجود، ثم انصرف فنام حتى نَفَخَ ثم فعل ذلك ثلاث مرَّات، ستَّ ركعات كُلَّ ذلك يستاكُ ويتوضأ ويقرأ هؤلاء الآيات ثم أوتر بثلاث، فأذَّن المؤذن فخرج إلى الصلاة، وهو يقول: «**اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي لساني نوراً، واجعل في سمعي نوراً، واجعل في بصري نوراً، واجعل من خلفي نوراً، ومن أمامي نوراً، واجعل من فوقي نوراً، ومن تحتي نوراً، اللَّهم أعطني نوراً**».

وعند دخول المسجد دعاء، وعند الخروج منه دعاء:

• أخرج مسلم[٢] في «صحيحه» من حديث أبي حميد أو أبي أسيد قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا دخل أحدُكُم المسجد فليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل اللهم إني أسألك من فضلك**».

وعقب الأذان دعاء:

• أخرج الإمام مسلم[٣] في «صحيحه» من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ﵄ أنه سمع النبي يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم**

---

(١) مسلم (ص ٥٣٠)، وانظر البخاري (١١/ ١١٦).
(٢) مسلم (مع النووي ٥/ ٢٢٤).
(٣) مسلم (مع النووي ٤/ ٨٥).

صلوا عليَّ فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى اللَّه بها عليه عشرًا ثم سلوا اللَّه لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد اللَّه وأرجو أن أكون أنا، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة».

● وأخرج الإمام البخاري[1] من حديث جابر بن عبد اللَّه ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدتَه حلت له شفاعتي يومَ القيامة**».

● وأخرج أبو داود[2] بإسناد حسن لغيره من حديث عبد اللَّه بن عمرو ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول اللَّه، إن المؤذنين يفضلوننا، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**قل كما يقولون فإذا انتهيت فسل تُعطه**».

وبين الأذان والإقامة دعاءٌ كما قدمنا.

وبعد تكبيرة الإحرام هناك دعاءُ الاستفتاح[3].

---

(١) البخاري (مع الفتح ٨/ ٣٩٩).

(٢) أبو داود (١/ ٣٦٠).

(٣) وله صيغ متعددة صحيحة عن رسول اللَّه ﷺ والتنويع مستحب، بمعنى أن المصلي يستحب له أن يذكر هذا مرة وهذا مرة، وإن كان الذي يغلب حديث أبي هريرة ﷺ لصحته واتفاق البخاري ومسلم على إخراجه، ولفظه «اللَّهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللَّهم نقني من الخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس، اللَّهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد».
أخرجه البخاري (٢/ ٢٢٧)، ومسلم (مع النووي ٥/ ٩٦).

● وهناك دعاء آخر في «صحيح مسلم» (مع النووي ٦/ ٥٧) من حديث علي ﷺ عن رسول اللَّه ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي للَّه رب العالمين =

والفاتحة أيضًا متضمنة للدعاء:

فإذا قال العبد اهدنا الصراط المستقيم، قال اللَّه تبارك وتعالى: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل، كما ورد في الحديث القدسي عند مسلم وغيره.

بل وفي ثنايا القراءة أيضًا كان النبي ﷺ إذا مرَّ بسؤالٍ سأل وإذ مرَّ بتعوذٍ تعوَّذَ[(١)]:

وقد حمل بعض العلماء ذلك على صلاة النافلة في الليل، وقال النووي في «شرح مسلم»: فيه استحباب هذه الأمور لكل قارئ في الصلاة وغيرها،

= لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعًا، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها. لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله في يديك، والشر ليس إليك أنا بك وإليك تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك»
وفي رواية عند مسلم أيضًا: كان رسول اللَّه ﷺ إذا استفتح الصلاة كَبَّر ثم قال: «وجهت وجهي...»، وقال: «وأنا أول المسلمين».
وعند مسلم (حديث رقم ٦٠٠) أيضًا من حديث أنس أن رجلاً جاء فدخل الصف وقد حفزه النفس، فقال: الحمد للَّه حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما قَضى رسول اللَّه ﷺ صلاته قال: «أيكم المتكلم بالكلمات؟» فَأرمَّ القوم[(*)]، فقال: «أيكم المتكلم بها؟ فإنه لم يقل بأسًا»، فقال رجل: جئتُ وقد حفزني النَّفَسُ فقلتها، فقال: «لقد رأيت اثني عشر ملكًا يبتدرونها أيهم يرفعها».
ومن أدعية الاستفتاح كذلك ما أخرجه ابن ماجه (حديث ٨٠٤) بإسناد حسن من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول اللَّه ﷺ يستفتح صلاته يقول: «سبحانك اللَّهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك»، وثمَّ أدعية أُخر.

(١) وفي رواية لأبي داود (١/٥٤٣) من حديث حذيفة: وما مرَّ بآية رحمة إلا وقف عندها فسأل، ولا بآية عذاب إلا وقف عندها فتعوذ، أما اللفظ الذي ذكرناه فهو عند مسلم =

(*) أرمَّ القوم: أي: سكتوا.

ومذهبنا استحبابه للإمام والمأموم والمنفرد.

وفي الركوع تمجيد وتعظيم للرب(١) .

وفي السجود دعاء(٢) .

وكذلك بين السجدتين دعاء(٣) .

وهناك قنوت بعد الركوع عند المُلمات والنوازل والشدائد والمصائب، ومن أهل العلم من يرى القنوت عامًا بـعد القيام من الركوع في الركعـة الثانية من صلاة الفجر(٤) .

وكذلك فالقنوت في الوتر مشروع(٥) .

وكذلك فبعد الانتـهاء من التشهد، وقبل التسليم يتخير المصلي من الدعاء أعجبه إليه(٦) ، واتباع الوارد أولى ويُبدأ به.

= (حديث ٧٧٢) من حديث حذيفة رضي الله عنه فقد أخرج مسلم الحديث وفيه: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى. فقلت: يصلي بها في ركعة فمضى فقلت: يركع بها، ثم افتتح النسـاء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً، إذا مرَّ بآية فيها تسبيحٌ سبَّح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوذ تعوَّذ.

(١) أخرج مسلم (مع النووي ٤/١٩٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النـبي ﷺ قال: «. . . فأما الركوع فعظِّموا فيه الرب عز وجل، وأمـا السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمنٌ أن يستجاب لكم».

(٢) عند مسلم (مع النووي ٤/ ٢٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء».

(٣) عند ابن ماجه (٨٩٧) بسند صحيح أن النبي ﷺ كان يقول بين السجدتين: «رب اغفر لي. . رب اغفر لي».

(٤)، (٥) ذلك ثابت في جملة مواطن، وانظر كتابنا «الأذكار»، وكـذلك كتابنا «مفاتيح الفقه في الدين».

(٦) انظر البخاري (مع الفتح ٢/ ٣٢٠)، ومسلم (مع النووي ٤/ ١١٥).

ويُردفُ بغيره عند من شـاء، ما لم يكن فيه إثمٌ ولا قطيـعة رحم. ثم بعد التسليم من الصلاة استغفار وتعوذٌ وذكرٌ ودعاء.

وكذلك فكما قدمنا فدعاء الصائم مستجاب، وقد قدمنا الخبر في ذلك عن رسول اللّه ﷺ.

ومن تعارَّ من الليل له دعاء مستجابٌ أيضًا:

• أخرج البـخاري[١] من حديث عبـادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من تعارَّ[٢] من الليل فقال: لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، له المُلك وله الحـمد وهو على كل شيء قـدير، الحمـد للّه وسـبحـان اللّه ولا إله إلا اللّه، واللّه أكبر، ولا حـول ولا قوة إلا باللّه، ثم قال اللهم اغـفر لي ـ أو دعا ـ استـجيب فإن توضأ قبلت صلاته**».

الدعاء لمن قدَّم معروفًا أو أراد أن يقدمه:

• ومن شكر الناس الدعاء لهم إذا عرضوا تقديم معروف أو قدموه:

قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ـ لما قـال سعد بن الربيع ـ وكان سعدٌ ذا غِنىً، فقال لعـبد الرحمن: أقاسمك مـالي نصفين وأُزوجك قال: بارك اللّه لك في أهلك ومالك، دُلوني على السُّوق.. الحديث[٣].

الدعاء للأشخاص في ثنايا الحديث معهم والحديث عنهم:

• قال النبي ﷺ وهو يشتري الجمل من جابر: «**أتبعنيه بكذا وكذا؟ واللّه**

(١) البخاري (مع الفتح ٣/ ٣٩).
(٢) التعـار: يقظة مع صوت. قالـه الأكثر (فـتح٣ /٣٩)، والبعض ذكر أنهـا الاستيـقاظ، والبعض تعار: انتبه، والبعض: تقلب على الفراش ليلاً مع كلام.
(٣) أخرجه البخاري (حديث ٢٠٤٩).

يغفر لك»[1].

وقال النبي ﷺ : «**أُريتُ في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قليب فـجاء أبو بكر فنزع ذنوبًا أو ذنوبين نزعًا ضعيفًا، واللَّه يغفر له..**»[2] الحديث.

❊ ❊ ❊

(١) مسلم (حديث ١٠٨٩).

(٢) البخاري (حديث ٣٦٨٢)، ومسلم (٢٣٩٣).

وكذلك فيستحب الدعاء في الليالي المباركة والأيام الطيبة وكذلك الأماكن الطيبة المباركة

فيستحب الدعاء في ليلة القدر.

ويستحب الدعاء يوم عرفة، وخاصة بعرفات[١] .

وكذلك عند المشعر الحرام يستحب الدعاء.

وكذلك بعد رمي الجمرة الصغرى وبعد رمي الجمرة الوسطى، في أيام التشريق الثلاثة.

كما يستحب الدعاء أثناء الطواف وعلى الصفا والمروة، بل وفي الكعبة أيضًا.

وكذلك فالمواطن التي يُظَنّ حضور الملائكة فيها يستحب فيها الدعاء:

- فقد قال النبي ﷺ : «**إذا سمعتم صياح الدِّيكة فاسألوا اللَّه من فضله فإنها رأت مَلَكًا**»[٢] .

وقال النبي ﷺ : «**لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمِّنون على ما تقولون**»[٣] وذلك لما دخل النبي ﷺ على أبي سلمة وقد شُقَّ بصره فأغمضه ثم قال: «**إن الروح إذا قُبض تبعه البصر**» فضجَّ ناس من أهله فقال: «**لا تدعوا..**» الحديث.

---

(١) انظر ذلك فما بعده في أبواب الحج، وخاصة في حديث جابر الطويل في وصف حجة النبي ﷺ ، وذلك عند مسلم (ص٨٨٦ ترتيب محمد فؤاد عبد الباقي).

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح ٦/ ٣٥٠)، ومسلم (مع النووي ١٧/ ٤٦).

(٣) مسلم (مع النووي ٦/ ٢٢٢).

وكذلك الدعاء في مكة:

● فحتى أهل الشرك كانوا يرون أن الدعاء مستجاب فيها، ولما دعا عليهم رسول اللَّه ﷺ فيها استجاب اللَّه دعاءه، ففي البخاري[(١)] من حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يُصلِّي عند البيت وأبو جهلٍ وأصحابٌ له جلوسٌ إذْ قال بعضهم لبعض أيُّكم يجيءُ بسَلَى جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمدٍ إذا سجد.

فانبعث أشقى القومِ فجاء به فنظر حتى إذا سجد النبيُّ ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه وأنا أنظر لا أُغْني شيئًا، لو كانت لي منعةٌ.

قال: فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض، ورسول اللَّه ﷺ ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة فطرحت عن ظهره، فرفع رأسه ثم قال: «**اللهم عليك بقريش**» ثلاث مرات، فشق عليهم إذ دعا عليهم. قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة.

ثم سمَّى: «**اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعُتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي مُعَيط**» وعدَّ السابع فلم نحفظه، قال: فوالذي نفسي بيده، لقد رأيتُ الذين عدَّ رسُولُ اللَّه ﷺ صَرعى في القَليب، قَلِيبِ بَدْر.

وكما أن الدعوات تشرع في الأماكن المباركة والأوقات الطيبة وعند حضور الملائكة، فكذلك تشرع التعوذات[(٢)] في أماكن الشر والفساد، وأوقات الفتن وعند مظنة حضور الشياطين، ومن كل ما يُخشى من الضرر

(١) البخاري (حديث ٢٤٠)، وأصل الحديث عند مسلم كذلك (١٧٩٤).

(٢) قال ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ في «تفسيره» (ج١ ص١٥): =

. . . .

= والاستعاذة: هي الالتجاء إلى اللَّه تعالى والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر، والعياذة تكون لدفع الشر، واللياذ يكون لطلب جلب الخير كما قال المتنبي:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به ممن أحاذره

لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره ولا يهيضون عظمًا أنت جابره

وقال قبل هذا الكلام - أي ابن كثير - (ص١٥):

ومن لطائف الاستعاذة أنها طهارة للفم مما كان يتعطاه من اللغو والرفث، وتطييب له وهو لتلاوة كلام اللَّه.

وهي استعانة باللَّه عز وجل، واعتراف له بالقدرة وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطن الذي لا يقدر على منعه ودفعه إلا اللَّه الذي خلقه ولا يقبل مصانعة ولا يدارى بالإحسان بخلاف العدو من نوع الإنسان كما دلت على ذلك آيات من القرآن.

ومعنى أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم: أي: أستجير بجناب اللَّه من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني ودنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به أو يحثني على فعل ما نهيت عنه، فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا اللَّه سبحانه وتعالى، ولهذا أمر اللَّه تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه ليرده طبعه عما هو فيه من الأذى وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن لأنه لا يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل لأنه شرير بالطبع ولا يكفه عنك إلا الذي خلقه.

وهذا المعنى في ثلاث آيات من القرآن الكريم لا أعلم لهن رابعًا:

قوله سبحانه وتعالى في سورة الأعراف: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾، وهذا فيما يتعلق بمعاملة الأعداء من البشر، ثم قال: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ باللَّه إنه سميع عليم﴾، وقال تعالى في سورة قد أفلح المؤمنون: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون. وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾.

وقال تعالى في سورة حم السجدة: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم. وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ باللَّه إنه هو السميع العليم﴾، ثم شرع - رحمه اللَّه - في تفسير معنى الشيطان.

في الدنيا أو الدِّين:

فقد كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: **«اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث»**[١].

وقال ﷺ: **«وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا باللَّه من الشيطان فإنه رأى شيطانًا»**[٢].

● وأخرج أبو داود[٣] بإسناد صحيح عن جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمار بالليل فتعوذوا باللَّه فإنهن يرين ما لا ترون»**.

● وكذلك فلما كان الشيطان يحضر عند الغضب فقد شرع لنا التعوذ عند الغضب قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

● وفي «الصحيحين»[٤] من حديث سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: استبَّ رجلان عند النبي ﷺ فغضب أحدهما فاشتد غضبه حتى انتفخ وجهه وتغيَّر فقال النبي ﷺ: **«إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد»** فانطلق إليه الرجل فأخبره بقول النبي ﷺ وقال: تعوذ باللَّه من الشيطان. فقال: أترى بي بأس، أمجنون أنا؟ اذهب.

● ولما كان الشيطان يحضر عند الولادة فيطعن المولود في خاصرته شُرع

---

(١) البخاري (مع الفتح ١/ ٢٤٢)، ومسلم (حديث ٣٧٥) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا، والمراد بالخبث: ذكران الشياطين، والخبائث: إناثهم.

(٢) البخاري (مع الفتح ٦/ ٣٥٠).

(٣) أبو داود (٥/ ٣٣٢).

(٤) البخاري (مع الفتح ١٠/ ٤٦٥)، ومسلم (مع النووي ١٦/ ١٦٣).

تعويذ الصبيان، فـفي «الصحيحين»[١] من حديث أبـي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قــال: «**ما من مولود يولـد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخًا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه**».

ثم قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: ﴿**وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ [آل عمران: ٣٦].

- وقد كان النبي ﷺ يعوِّذ الصبيــان؛ ففي «صحيح البخاري»[٢] مـن حـديث ابن عبـاس رضي الله عنهما قـال: كـان النبي ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين، ويقول: «**إن أباكما إبراهيم كان يُعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التّامّة من كل شيطان وهامّة ومن كُلِّ عَيْنٍ لامَّة**».

- ولما كان الشـيطان يحاول إفساد الـقراءة على قارئ القرآن شـرع لقارئ القرآن التعوذ بالله من الشيطان بين يدي القراءة.

قــال الله تبـارك وتعـالى: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ [النحل: ٩٨].

- وأخرج مسلم[٣] من حديث عثمان بن أبي العاص أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رســول الله إن الشيطان قد حال بين صلاتي وقراءتي يلبـسها عليَّ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**ذاك شيطان يقال له: خِنْزَب فإذا أحسسته فتعوَّذ بالله منه واتْفُل عن يسارك ثلاثًا**» قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عنِّي.

---

(١) البخاري (حديث ٣٤٣١)، ومسلم (حديث ٢٣٦٦) واللفظ لمسلم.

(٢) البخاري (مع الفتح ٦/ ٤٠٨).

(٣) مسلم (مع النووي ١٤/ ١٨٩).

ويتعوذ بالله عند وسوسة الشياطين:

- لما أخرجه البخاري ومسلم[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته**».

- وكان النبي ﷺ يتعوذ فيقول: «**اللهم إني أعوذ بك من التردي والهدم، والغرق والحريق، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مُدبراً، وأعوذ بك أن أموت لديغًا**»[٢].

- وكان النبي ﷺ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من شر ما عملت وشر ما لم أعمل**»[٣].

وهذا بابٌ واسع جداً[٤]، ومن أراد المزيد منه فليرجع إلى كتب الاستعاذة.

والاستعاذة تكون بالله أو بأسمائه وصفاته:

- أما الاستعاذة بالله فعموم النصوص المتقدمة وغيرها يشهد له.

- أما الاستعاذة بأسمائه سبحانه:

فمنها: قول مريم عليها السلام: ﴿**إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا**﴾ [مريم:١٨] أما الاستعاذة بصفات الله عز وجل فمن شواهدها ما أخرجه

---

(١) البخاري (مع الفتح ٦/٣٣٦)، ومسلم (مع النووي ٢/١٥٤).

(٢) أخرجه النسائي (٨/٢٤٩) بسند صحيح من حديث أبي اليسر رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧/٣٨).

(٤) اقتصرنا منه على القدر الكافي المؤدي للغرض، وبالله التوفيق.

البخاري[١] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿**قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم**﴾ قال النبي ﷺ: «**أعوذ بوجهك**»، فقال: ﴿**أو من تحت أرجلكم**﴾ فقال النبي ﷺ: «**أعوذ بوجهك**»، قال: ﴿**أو يلبسكم شيعا**﴾، فقال النبي ﷺ: «**هذا أيسر**».

• وفي الباب أيضًا: ما ورد من تعليم النبي ﷺ أن يقول: «**أعوذ بعزة اللَّه وقدرته من شر ما أجدُ وأُحَاذِرُ**»[٢].

* * *

(١) البخاري (مع الفتح ١٣/٣٨٨) حديث (٧٤٠٦).

(٢) أصل الحديث عند مسلم (مع النووي ١٤/١٨٩) من حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي أنه شكا إلى رسول اللَّه ﷺ وجعًا يجده في جسده يجده منذ أسلم، فقال له رسول اللَّه ﷺ: «ضع يدك على الذي تألم من جسدك، وقل: باسم اللَّه ثلاثًا، وقل سبع مرات: أعوذ باللَّه وقدرته من شر ما أجد وأحاذر».
وعند ابن ماجه(٣٥٢٢) بلفظ: (أعوذ بعزة اللَّه وقدرته. . .).

طرف من أدب الدعاء:

تقدم ذكر طرف من أدب الدعاء في ثنايا الأبواب المتقدمة، وهذا مزيدٌ من أدب الدعاء.

الإخلاص في الدعاء

- قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].
- وقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ..﴾ [يونس: ٢٢، ٢٣].

فالإخلاص في الدعاء مع التضرع سبب في تفريج الكربات وإجابة الدعوات. ومن ثَمَّ أُجيبت دعوة المضطر.

قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ..﴾ [النمل: ٦٢].

فالمضطر الذي أقلقته الكروب وتعسر عليه المطلوب.

المضطر هو المكروب المجهود، وهو الذي أحوجه المرض أو الفقر أو أحوجته النوازل إلى اللجوء والتضرع إلى اللَّه.

هذا المضطر يكون أشد إخلاصًا وأقوى تضرعًا إلى اللَّه سبحانه وتعالى من غيره، فرغبته أقوى، **ودعاؤه** أخضع، ومن ثم فدعاؤه أقرب للإجابة من غيره.

• وانظر إلى أثر الإخلاص في الدعاء فيما أخرجه مسلم في «صحيحه» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**من طلب الشهادة صادقًا أعطيها ولو لم تُصبه**»[1].

• وعند مسلم كذلك من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من سأل اللَّه الشهادة بصدق بلَّغه اللَّه منازل الشهداء، وإن مات على فراشه**»[2].

* * *

التضرع في الدعاء

• فالتضرع وصدق اللجوء إلى اللَّه سبحانه وتعالى من أسباب الإجابة بل من أعظمها قال تعالى: ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً** ﴾.

• وقال تعالى: ﴿ **فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾.

• وقد قدمنا أنه مقصد من مقاصد الابتلاء، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ** ﴾.

* * *

---

(١) مسلم (مع النووي ١٣/ ٥٥).

(٢) مسلم (مع النووي ١٣/ ٥٥).

إخفاء الدعاء

• ويستحب ـ في الجملة ـ إخفاء الدعاء وعدم إظهاره إلا في المواطن التي ورد أن النبي ﷺ كان يُظهر فيها دعاءه[١]، أو المواطن التي تدعو الحاجة إلى إظهار الدعاء فيها.

أما إخفاء الدعاء فمن أدلته ما يلي:

• قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٥].

• وقد ذكر اللَّه في كتابه نبيًّا كريمًا رضي عن فعله وزكَّاه وهو زكريا عليه السلام، فقال سبحانه: ﴿**إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا**﴾ [مريم: ٣].

• وكان النبي ﷺ يقوم من الليل إذا غلب على ظنه أن عائشة قد نامت فيفزع إلى الصلاة سائلاً ربَّه مستغفرًا ويتجه إلى بقيع الغرقد يدعو هنالك للأموات.

• أخرج الإمام مسلم[٢] في «صحيحه» من حديث عائشة ﷺ قالت: فقَدْتُ رسولَ اللَّه ﷺ ليلةً من الفراشِ، فالتمستُه فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد، وهُما منصوبتان. وهو يقول: «**اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما**

---

(١) ذلك ـ واللَّه أعلم ـ كالقنوت في الصلوات والنوازل والاستسقاء وخطب الجمعة والأعياد، وقول آمين في الصلاة، والأدعية العامة وكل ما ورد نحوه عن رسول اللَّه ﷺ وعمومًا فالنفل في الغالب يُخفى، والفرض يُجهر به، فصلاة النفل في البيت أفضل وصلاة الفرض في المسجد أوجب.

(٢) مسلم (حديث ٤٨٦).

أثنيت على نفسك».

● وأخرج مسلم[١] في «صحيحه» أيضًا من حديث عائشة ﵂ قالت: لما كانت ليلتي التي كان النبي ﷺ فيها عندي، انقلب فوضع رداءه، وخلع نعليه، فوضعهما عند رجليه، وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع، فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت، فأخذ رداءه رُوَيْدًا، وانتعل رويدًا، وفتح الباب فخرج، ثم أجافه رويدًا، فجعلت دِرْعي في رأسي واختمرتُ، وتقَنَّعْتُ إزاري ثم انطلقت على إثره، حتى جاء البقيع فقام، فأطال القيام، ثم رفع يديه ثلاث مرات، ثم انحرف فانحرفت فأسرع فأسرعت، فهرول فهرْوَلْتُ، فأحضر فأحضرت[٢] فسبقْتُهُ فدخلتُ فليس إلا أن اضطجعت فدخل، فقال: «**ما لك يا عائش؟ حشيا رَابِيَةً**[٣] !» قالت: قلتُ: لا شيء، قال: «**لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير**» قالت: قلتُ: يا رسول اللَّه، بأبي أنت وأمِّي، فأخبرتُهُ، قال: «**فأنتِ السَّوادُ الذي رأيْتُ أمامي**» قُلْتُ: نعم، فلَهَدَني في صَدْري لهدةً أوْجعتني.

ولإخفاء الدعاء جملة من الفوائد:

ذكرها العلامة ابن القيم رحمه اللَّه تعالى[٤] فقال:

وفي إخفاء الدعاء فوائد عظيمة:

أحدها: أنه أعظم إيمانًا، لأن صاحبه يعلم أن اللَّه يسمع دعاءه الخفي، وليس كالذي قال: إن اللَّه يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا.

---

(١) مسلم (ص٠٦٧).　　(٢) الإحضار: العَدْو، أي: فعدوت عدوًا.
(٣) أي مرتفعة البطن تنهجين وتتنفسين بسرعة.
(٤) «التفسير القيم».

وثانيها: أنه أعظم في الأدب والتعظيم، ولهذا لا تخاطب الملوك ولا تسأل برفع الأصوات، وإنما تخفض عندهم الأصوات، ويخفض عندهم الكلام بمقدار ما يسمعونه ومن رفع صوته لديهم مقتوه، ولله المثل الأعلى، فإذا كان ربنا يسمع الدعاءَ الخفيّ فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت به.

ثالثها: أنه أبلغ في التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولُبُّه ومقصوده.

فإن الخاشع الذليل الضارع إنما يسأل مسألة مسكين ذليل، قد انكسر قلبه، وذلت جوارحه، وخشع صوته، حتى إنه ليكاد تبلغ به ذلته ومسكنته، وكسرته، وضراعته إلى أن ينكسر لسانه فلا يطاوعه بالنطق، فقلبه سائل طالب مبتهل، ولسانه لشدة ذله وضراعته ومسكنته ساكت، وهذه الحالة لا يتأتى معها رفع الصوت بالدعاء أصلاً.

ورابعها: أنه أبلغ في الإخلاص.

وخامسها: أنه أبلغ في جمعيّة القلب على الله في الدعاء، فإن رفع الصوت يفرقه ويشتته ، فكلما خفض صوته كان أبلغ في حمده وتجريد همته وقصده للمدعو، سبحانه وتعالى.

وسادسها: - وهو من النكت السريَّة البديعة جدًا - أنه دالٌ على قُرْبِ صاحبه من اللَّه، وأنه لاقترابه منه، وشدة حضوره يسأله مسألة أقرب شيء إليه. فيسأله مسألة مناجاة القريب للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد، ولهذا أثنى سبحانه وتعالى على عبده زكريا بقوله: ﴿إذ نادى ربه نداء خفيا﴾ [مريم:٣] فكلما استحضر القلب قرب اللَّه تعالى منه، وأنه أقرب إليه من كل قريب، وتصور ذلك أخفى دعاءه ما أمكنه ولم يتأتِ له رفع الصوت به، بل يراه غير مستحسن، كما أن من خاطب جليسًا له يسمع خفيَّ كلامه فبالغ في

رفع الصوت استهجن ذلك منه ولله المثلُ الأعلى سبحانه.

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى بعينه بقوله في الحديث الصحيح ـ لما رفع الصحابة أصواتهم بالتكبير وهم معه في السفر ـ فقال: «**أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا أقربُ إلى أحدكم من عنق راحلته**».

وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ [البقرة:١٨٦] وقد جاء أن سبب نزولها: أن الصحابة قالوا: يا رسول الله ربنا قريب فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ [البقرة:١٨٦] وهذا يدل على إرشادهم للمناجاة في الدعاء، لا للنداء الذي هو رفع الصوت فإنهم عن هذا سألوا، فأجيبوا بأن ربهم تبارك وتعالى قريب لا يحتاج في دعائه وسؤاله إلى النداء، وإنما يسأل مسألة القريب المناجى، لا مسألة البعيد المنادَى.

وهذا القرب من الداعي هو قرب خاص، ليس قربًا عامًا من كل أحد، فهو قريب من داعيه وقريب من عابده، و«**أقرب ما يكون العبدُ من ربِّه وهو ساجد**» وهو أخص من قرب الإنابة وقرب الإجابة، الذي لم يُثبت أكثر المتكلمين سواه، بل هو قرب خاص من الداعي والعابد، كما قال النبي ﷺ راويًا عن ربِّه تبارك وتعالى: «**من تقرَّب منِّي شبرًا تقربتُ منه ذراعًا ومن تقرَّب منِّي ذراعًا تقرَّبتُ منه بَاعًا**» فهذا قربه من عابده.

وأما قربه من داعيه وسائله، فكما قال تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ [البقرة:١٨٦].

وقوله: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**﴾ [الأعراف:٥٥] فيه الإشارة والإعلام بهذا

القرب.

وأما قربه تبارك وتعالى من محبه فنوع آخر وبناء آخر، وشأن آخر، كما قد ذكرناه في كتاب «التحفة المكيّة» على أن العبارة تنبو عنه ولا تحصل في القلب حقيقة معناه أبدًا، لكن بحسب قوة المحبة وضعفها يكون تصديق العبد بهذا القرب.

وإيَّاك ثم إيَّاك أن تعبر عنه بغير العبارة النبويّة، أو يقع في قلبك غير معناها ومرادها فتزل بك قَدَمٌ بعد ثبوتِها، وقد ضعف تمييز خلائق في هذا المقام وساء تعبيرهم فوقعوا في أنواع من الطامَّات والشطح، وقابلهم من غلظ حجابه، فأنكر محبة العبد لربه جملة وقربه منه وأعاد ذلك إلى مجرد الثواب المخلوق فهو عنده المحبوب القريب ليس إلا.

وقد ذكرنا من طرق الرد على هؤلاء وهؤلاء في كتاب التحفة أكثر من مائة طريق.

والمقصود ها هنا: الكلام على هذه الآية.

وسابعها: أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال، فإن اللسان لا يمل والجوارح لا تتعب، بخلاف ما إذا رفع صوته فإنه قد يكِلُّ لسانه وتضعف بعض قواه.

وهذا نظير من يقرأ ويكرر رافعًا صوته، فإنه لا يطول له ذلك بخلاف من يخفض صوته.

وثامنها: أن إخفاء الدعاء أبعد له من القواطع والمشوشات والمضعفات، فإن الداعي إذا أخفى دعاءه لم يدر به أحدٌ فلا يحصل له هناك تشويش ولا غيره، وإذا جهر به تفطنت له الأرواح الشريرة والباطولية الخبيثة من الجن والإنس، فشوشت عليه ولا بد، ومانعته وعارضته ولو لم يكن من ذلك إلا

أن تعلقها به يفرق عليه همته فيضعف أثر الدعاء لكفى، ومن له تجربة يعرف هذا فإذا أسر الدعاء وأخفاه أمن هذه المفسدة.

وتاسعها: أن أعظم النعم هو الإقبال على اللَّه، والتعبد له، والانقطاع إليه والتبتل إليه، ولكل نعمة حاسد على قدرها، دقت أو جلَّت، ولا نعمة أعظم من هذه النعمة، فأنفس الحاسدين المنقطعين متعلقة بها، وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته عن الحاسد، وألا يقصد إظهارها له. وقد قال يعقوب ليوسف: ﴿**لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾ [يوسف: ٥].

وكم من صاحب قلب وجمعيَّة وحِال مع اللَّه قد تحدث بها وأخبر بها فسلبه إيَّاها الأغيار، فأصبح يقلب كفيه.

ولهذا يوصي العارفون والشيوخ بحفظ السر مع اللَّه وألا يطلعوا عليه أحدًا ويتكتمون به غاية التكتُّم كما أنشد بعضهم في ذلك:

من ساررُوه فأبدى السر مجتهدًا ... لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا
وأبعدوه فلم يظفر بقربهم ... وأبدلوه مكان الأنس إيحاشا
لا يأمنون مذيعًا بعض سرهم ... حاشا ودادهم من ذلكم حاشا

والقوم أعظم شيء كتمانًا لأحوالهم مع اللَّه وما وهب اللَّه لهم من محبته والأُنس به وجمعيّة القلب عليه، ولا سيما للمبتدئ والسالك. فإذا تمكن أحدهم وقوي وثبتت أصول تلك الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء في قلبه بحيث لا يخشى من العواصف، فإنه إذا أبدى حاله وشأنه مع اللَّه ليقتدى به ويؤتم به لم يبال، وهذا باب عظيم النفع وإنما يعرفه أهله.

وإذا كان الدعاء المأمور بإخفائه يتضمن دعاء الطلب والثناء والمحبة والإقبال

على اللَّه فهو من أعظم الكنوز التي هي أحق بالإخفاء والستر عن أعين الحاسدين، وهذه فائدة شريفة نافعة.

وعاشرها: أن الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه متضمن للطلب منه والثناء عليه بأسمائه **وأوصافه**، **فهو** ذكر وزيادة، كما أن الذكر سمي دعاء لتضمنه الطلب كما **قال النبي** ﷺ: **«أفضل الدعاء الحمدُ للَّه»** فسمى **«الحمد للَّه»** دعاء، **وهو ثناء محض؛ لأن** الحمد يتضمن الحب والثناء. والحب أعلى أنواع الطلب **للمحبوب**، **فالحامد** طالب لمحبوبه، فهو أحق أن يسمى داعيًا من السائل **الطالب من ربه حاجة** ما.

فتأمل هذا الموضع **فإذا تأملته لا** تحتاج إلى ما قبل: إن الذاكر متعرض للنوال وإن لم يكن مصرحًا بالسؤال، فهو داعٍ بما تضمنه ثناؤه من التعرض، كما قال أميَّة بن أبي الصلت في ممدوحه:

أأذكر حاجتي، أم قد كفاني ... حباؤك؟ إن شيمتك الحباء
إذا أثنى عليك المرءُ يومًا ... كفاه من تعرُّضِه الثناءُ

وعلى هذه الطريقة التي ذكرناها فنفس الحمد والثناء متضمن لأعظم الطلب وهو طلب المحب، فهو دعاء حقيقة، بل أحق أن يسمى دعاء من غيره من أنواع الطلب الذي هو دونه.

والمقصود أن كل واحد من الدعاء والذكر يتضمن الآخر ويدخل فيه.

وقد قال تعالى: ﴿**وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ**﴾ [الأعراف: ٢٠٥] فأمر تعالى نبيَّه أن يذكره في نفسه.

قال مجاهد وابن جريج: **أمر أن يذكره في** الصدر بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت أو الصياح.

وقد تقدم حديث أبي موسى كنا مع النبي ﷺ في سفر فارتفعت أصواتنا بالتكبير فقال: «**يا أيها الناس أربعوا على أنفسكُم**[١] ، **فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنما تدعون سميعًا قريبًا أقربُ إلى أحدكُم من عنق راحلته**».

وتأمل كيف قال في آية الذِّكر: ﴿**وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً**﴾ [الأعراف: ٢٠٥] وفي آية الدعاء: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**﴾ [الأعراف: ٥٥] فذكر التضرع فيهما معًا، وهو التذلل والتمسكن والانكسار، وهو روح الذكر والدعاء، وخص الدعاء بالخفية لما ذكرنا من الحكم وغيرها. وخص الذكر بالخيفة لحاجة الذاكر إلى الخوف، فإن الذِّكر يستلزم المحبة ويثمرها ولا بد. فمن أكثر من ذكر اللَّه أثمرَ له ذلك محبته والمحبة ما لم تقرن بالخوف، فإنها لا تنفع صاحبها بل قد تضره، لأنها توجب الإدلال والانبساط، وربما آلت بكثير من الجُهَّال المغرورين إلى أنهم استغنوا بها عن الواجبات وقالوا: المقصود من العبادات إنما هو عبادة القلب وإقباله على اللَّه ومحبته له وتألهه له. فإذا حصل المقصود فالاشتغال بالوسيلة باطل. ولقد حدثني رجل أنه أنكر على رجل من هؤلاء خلوة له ترك فيها حضور الجمعة فقال له الشيخ: أليس الفقهاء يقولون إذا خاف على شيء من ماله فإن الجمعة تسقط عنه؟ فقال له: بلى. فقال له: فقلب المريد أعز عليه من ضياع عشرة دراهم، أو كما قال. وهو إذا خرج ضاع قلبه فحفظه لقلبه عذر مسقط للجمعة في حقه. فقال له: هذا غرور، بل الواجب عليه الخروج إلى أمر اللَّه وحفظ قلبه مع اللَّه. فالشيخ المربي العارف يأمر المريد بأن يخرج إلى الأمر ويراعي حفظ قلبه، أو كما قال.

فتأمل هذا الغرور العظيم كيف آل بهؤلاء إلى الانسلاخ عن الإسلام،

(١) أربعوا: أي: ترفقوا بأنفسكم.

جملة فإن من سلك هذا المسلك انسلخ عن الإسلام العـام كانسلاخ الحية من قشرها، وهو يظن أنه من خاصة الخاصة، وسبب هذا عدم اقتران الخوف من اللَّه بحبه وإرادته، ولهذا قال بعض السلف: من عـبد اللَّه بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ. ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن.

وقد جمع تعالى هذه المقامات الثلاث بقوله: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ**﴾ [الإسراء:٥٧]، فابتغاء الوسيلة هو محبـته الداعية إلى التقرب إليه. ثم ذكـر بعدها الرجاء والخوف، فهذه طريقة عباده وأوليائه.

وربما آل الأمر بمن عبـده بالحب المجرد إلى استحلال المحـرمات، ويقول: المحب لا يضـره ذنب وقد صنف بعـضهم في ذلك مـصنفًا وذكـر فيـه أثرًا مكذوبًا: «إذا أحب الله العـبد لم تضـره الذنوب»، وهذا كذب قطعًـا مناف للإسلام.

فالـذنوب تضر بالذات لكل أحـد كضـرر السم للبدن. ولو قـدر أن هذا الكلام صح عن بعض الشيوخ. وأما عن رسـول اللَّه ﷺ - فمعاذ اللَّه من ذلك - فله مـحمل، وهو أنه إذا أحـبه لم يدعه حـبه إياه إلى أن يصـر على ذنب؛ لأن الإصرار عـلى الذنب مناف لكونه محـبًا للَّه، وإذا لم يصـر على الذنب بل بادر إلى التـوبة النصـوح منه، فإنـه يمحا أثره ولا يضـره الذنب، وكلمـا أذنب وتاب وأناب إلى اللَّه زال عنه أثر الذنب وضـرره، فهـذا المعنى صحيح.

والمقصود: أن تجريد الحب والذكر عن الخوف يوقع في هذه المعاطب، فإذا

اقترن بالخوف جمعه على الطريق ورده إليها كلما شرد، فكأن الخوف سوط يضرب به مطيته لئلا تخرج عن الدرب، والرجاء حادٍ يحدوها يطيب لها السير، والحب قائدها وزمامها الذي يسوقها. فإذا لم يكن للمطية سوط ولا عصى تردها إذا حادت عن الطريق، وتركت تركب التعاسيف خرجت عن الطريق وضلت عنها، فما حفظت حدود اللَّه ومحارمه.

وما وصل الواصلون إليه بمثل خوفه ورجائه ومحبته، فمتى خلا القلب عن هذه الثلاثة فسد فسادًا لا يرجى صلاحه أبدًا، ومتى ضعف فيه شيء من هذه ضعف إيمانه بحسبه.

فتأمل أسرار القرآن وحكمته في اقتران الخيفة بالذكر، والخفية بالدعاء، مع دلالته على اقتران الخيفة بالدعاء والخفية بالذكر أيضًا، فإنه قال: ﴿**وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ**﴾ فلم يحتج بعدها أن يقول: «خفية» وقال في الدعاء: ﴿**وادعوه خوفا وطمعا**﴾، فلم يحتج أن يقول في الأولى: ادعوا ربكم تضرعًا وخفية، فانتظمت كل واحدة من الآيتين للخيفة والخفية والتضرع أحسن انتظام، ودلت على ذلك أكمل دلالة.

وذكر الطمع الذي هو الرجاء في آية الدعاء لأن الدعاء مبني عليه، فإن الداعي ما لم يطمع في سؤاله ومطلوبه لم تتحرك نفسه لطلبه، إذ طلب ما لا طمع فيه ممتنع.

وذكر الخوف في آية الذكر لشدة حاجة الخائف إليه كما تقدم، فذكر في كل آية ما هو اللائق بها والأولى بها من الخوف والطمع، فتبارك من أنزل كلامه شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين.

* * *

استقبال القبلة عند الدعاء

ويستحب للشخص أن يستقبل القبلة عند دعائه، وكلما كانت الدعوة من الأهمية بمكان كبير تأكد هذا الاستحباب، ولا بأس أن يدعو الشخص أحيانًا غير مستقبل القبلة، وها هي بعض الأدلة على ذلك:

أولا: الأدلة على مشروعية استقبال القبلة واستحباب ذلك:

• أخرج مسلم[1] في «صحيحه» من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: لما كان يوم بدر نظر رسول اللَّه ﷺ إلى المشركين وهم ألفٌ، وأصحابُهُ ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً. **فاستقبل نبي اللَّه ﷺ القبلة**. ثم مدَّ يديه فجعل يهتفُ بربه[2] : **«اللَّهم أنجز لي ما وعدتني. اللَّهم آت ما وعدتني. اللَّهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض»**، فما زال يهتف بربِّه مادًّا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي اللَّه، كذاك[3] مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك. فأنزل اللَّه عز وجل: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ**﴾ [الأنفال: ٩] فأمده اللَّه بالملائكة.

• وعند مسلم[4] كذلك من حديث جابر ﷺ في بيان حجة النبي ﷺ: . . . ثم ركب رسول اللَّه ﷺ حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته

(١) مسلم (مع النووي ١٢/ ٨٤) حديث (١٧٦٣).

(٢) يهتف بربه: يناديه ويستغيث به.

(٣) كذاك بمعنى: كفاك.

(٤) حديث جابر عند مسلم (١٢١٨).

القصواء إلى الصخرات[1] وجعل حبل المشاة بين يديه، **واستقبل القبلة**.

● وفي «الصحيحين»[2] من حديث عبد اللَّه بن زيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى المصلى لصلاة الاستسقاء فاستسقى واستقبل القبلة...

ويجوز الدعاء أيضًا غير مستقبل القبلة:

● أما الأدلة على دعائه غير مستقبل القبلة فهي فوق الحصر، وقد أوردنا قدرًا كبيرًا منها في ثنايا هذا الكتاب.

ومنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يرحم اللَّه موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»[3]، ولم يرد أنه استقبل القبلة.

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**اللَّهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ...**»[4] الحديث، وغير ذلك كثيرًا جدًّا.

* * *

---

(١) الصخرات: هي صخرات في أسفل جبل الرحمة بعرفات.

(٢) البخاري (حديث ١٠٢٥)، ومسلم (حديث ٨٩٤).

(٣) البخاري (مع الفتح ٦/ ٤٣٦)، ومسلم (في الزكاة ٣٧/ ١٣)، وأحمد (١/ ٤١١).

(٤) مسلم (مع النووي ١٧/ ٤٠).

رفع اليدين في الدعاء

ورفع اليدين في الدعاء مشروع، بل ومستحب في كثير من الأحيان، ويتأكد الاستحباب كلما عظمت الدعوة التي يدعو بها الشخص.

● وتقدم أن نبينا محمدًا ﷺ «مدَّ يديه وجعل يهتف بربه»[١].

● وكذلك في «الصحيحين»[٢] أن النبي ﷺ دعا بماءٍ فتوضأ به **ثم رفع يديه** فقال: «**اللَّهم اغفر لعبيد أبي عامر**» قال أبو موسى: ورأيت بياض إبطيه فقال: «**اللَّهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس**».

وعند الترمذي[٣] بإسناد حسن من حديث سلمان أن النبي ﷺ قال: «**إن اللَّه حيي كريم يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرًا خائبتين**».

● وكذلك عند مسلم[٤] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه طيب لا يقبل إلا طيبًا...**» فذكر الحديث وفيه أنه: ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء... الحديث، وقد تقدم.

● وفي «الصحيحين»[٥] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً دخل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو باب دار القضاء ـ ورسول اللَّه ﷺ قائم يخطب ـ فاستقبل رسول اللَّه ﷺ قائمًا ثم قال: يا رسول اللَّه هلكَتِ الأموال، وانقطعت السبل، فادع اللَّه يغيثنا. **فرفع رسول اللَّه** ﷺ **يديه ثم**

---

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٢) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٨٧)، ومسلم (مع النووي ١٦/ ٥٩).

(٣) الترمذي (مع التحفة ٩/ ٥٤٤).

(٤) مسلم (مع النووي ٧/ ٩٩ حديث ١٠١٥).

(٥) البخاري (حديث ١٠١٤)، ومسلم (مع النووي ١/ ٦٩٤).

قـال: «**اللَّهم أغثنا، اللَّهم أغـثنا، اللَّهم أغثنا**». قال أنس: ولا واللَّـه ما نرى في السمـاء من سحاب ولا قـزعة، وما بيننا وبـين سلعٍ من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سـحابةٌ مثل التُّـرس، فلما توسَّطت السـماء انتـشرت، ثم أمطرت، فلا واللَّه ما رأينا الشمس ستًّا. ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعـة - ورسول اللَّه ﷺ قائم يخطب - فاسـتقبله قائمًا فـقال: يا رسول اللَّه، هلكت الأموال، وانقطعت الـسبل، فادع اللَّه يمسكها عنَّا. قـال: فرفع رسـول اللَّه ﷺ يديه ثم قـال: «**اللَّهم حـوالـينا ولا علينا. اللَّـهم على الآكـام والظراب وبُـطون الأودية ومنابت الـشجـر**» قـال: فـأقلعت وخـرجنا نمشي في الشمس.

أما الذي ورد عن أنس ﷺ في «الصـحيحين»[1] أن رسـول اللَّه ﷺ كان لا يرفع يديه في شـيء من دعائه إلا في الاستـسقاء فـإنه كان يرفع يديه حتى يُرى بيـاض إبطيه، فـإما أن يُحمل عـلى نفي صفة مـعينة من صـفات الرفع، أي لا يبالغ في رفع يديه إلا في الاسـتسقاء حتى يُـرى بياض إبطيه، وإما أن يحمل على أن أنسًا قال بالذي قد علم، وغيره علم ما لم يعلم ونقل ما لم ينقل، والثـاني أظهرلأنه قد ثبت أن الـنبي ﷺ رفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه في مواطن أخر قدمنا بعضها، واللَّه أعلم.

* * *

(١) البخاري (مع الفتح ٦/ ٥٦٧)، ومسلم (مع النووي ٦/ ١٩٠).

الإكثار من الدعاء
وتعظيم الرغبة فيما عند الله عز وجل

وينبغي أن نكثر من الدعاء ونعظم الرغبة فيما عند اللَّه سبحانه وتعالى.

• وذلك لقول النبي ﷺ: «**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رحم إلا أعطاه اللَّه بها إحدى ثلاث، إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**»، قالوا: إذن نكثر؟! قال: «**اللَّه أكثر**»[1].

ولا يرد علينا في باب الإكثار من الدعاء ما ورد عن رسول اللَّه ﷺ من قوله: ـ لما قال له نبي اللَّه موسى ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ـ «**إني استحييت من ربي عز وجل**»؛ وذلك لأن الأمر قد قُضي، إذ اللَّه قال: «**إنه لا يبدل القول لديَّ، إنها خمس وإنها خمسون**»[2].

(١) أخرجه أحمد (٣/١٨) بسند حسن.

(٢) أخرج ذلك مسلم في حديث الإسراء والمعراج (حديث ١٦٢) ففيه: «فأوحى اللَّه إليَّ ما أوحى. ففرض عليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة. فنزلت إلى موسى ﷺ فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يُطيقون ذلك. فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال: فرجعت إلى ربي فقلت: يا ربي، خفِّف عن أمتي. فحطَّ عني خمسًا، فرجعت إلى موسى فقلت: حطَّ عني خمسًا. قال: إن أمتك لا يُطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد، إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة، لكل صلاة عشرٌ، فذلك خمسون صلاة. ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرًا. ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تُكتب شيئًا. فإن عملها كتبت سيئة واحدة. قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ﷺ فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول اللَّه ﷺ فقلت: قد رجعتُ إلى ربي حتى استحييت منه».

وهذا الإكثار لا يتنافى مع الإجمال الذي أشار إليه النبي ﷺ بقوله: **«أجملوا في طلب الدنيا فإن كُلاً ميسر لما كتب له منها»**[(١)] .

فقد يُجمل الشخص في الطلب ويكرر الدعوة التي أجمل فيها، فتكون الدعوة شاملة جامعة، ويكررها الشخص مرارًا فلاختصارها يسهل على الشخص ترديدها وتكريرها.

وقد كان النبي ﷺ «يعجبه الجوامع من الدعاء ويدع ما بين ذلك»[(٢)] .

فرب دعوة واحدة تشمل مئات الدعوات.

● فدعوة من الدعوات التي كان النبي ﷺ يكثر منها، كقوله: **«ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»**[(٣)] . تشمل خيري الدنيا والآخرة.

● ودعوة كقوله عليه الصلاة والسلام: **«اللَّهم اهدني فيمن هديت»**[(٤)] تقوم مقام مئات الدعوات.

● وأيضًا فلا مانع من التفصيل إن احتيج إليه.

* * *

(١) أخرجه الحاكم في «مستدركه» (٢/٣)، وقال: حديث صحيح، وانظر أيضًا ابن ماجه (٢/٧٢٥).

(٢) أخرجه أحمد (٦/١٤٨، ١٨٩) بإسناد صحيح.

(٣) أخرج البخاري (مع الفتح ١١/١٩١)، ومسلم (مع النووي ١٧/١٦) من حديث أنس ﷺ قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

وفي رواية أبي داود: «اللهم ربنا آتنا. .»

(٤) صحيح أخرجه أحمد (١/١٩٩) وأبو داود (١٤٢٥) وغيرهم من حديث الحسن بن علي ﷺ قال: علمني رسول الله ﷺ أن أقول في الوتر: «اللَّهم اهدني فيمن هديت. .».

طرف من الدعوات الجامعة من كتاب الله [١] ومن سنة رسول الله ﷺ

● مدار الدعوات التي يدعو بها العبد على طلب الصلاح والسلامة والأمن في الدنيا والآخرة، ولذلك كانت **أكثر دعوة يدعو بها النبي** ﷺ: «**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**»[٢] .

وكان صلوات اللّه وسلامه عليه يسأل ربه العافية والمعافاة في الدنيا والآخرة.

● وفي «صحيح مسلم»[٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول اللّه ﷺ يقول: «**اللّهم أصلح ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر**».

وذم اللّه سبحانه وتعالى من اقتصر في دعائه على طلب الدنيا فقط، وأثنى عز وجل على من سأل خيري الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿**فَمِنَ النَّاسِ مَن**

---

(١) وهناك أدعية موظفة مخصوصة بأزمنة وأماكن ومناسبات،الأولى أن تذكر في أماكنها وأزمنتها ومناسباتها، كدعاء دخول المسجد، والخروج منه، ودعاء الجماع ودعاد دخول البلدة، ودعاء السفر وأدعية الركوب ونحو ذلك، فالأولى أن يُدعى بكل دعاء في محله، وهذا موجود في كتب الأذكار عمومًا وانظر كمًا منه في كتابي «الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة».

(٢) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٩١) ومسلم من حديث أنس، ولفظه: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»، وفي بعض الألفاظ: «اللّهم آتنا. . .».

(٣) مسلم (مع النووي ١٧/ ٤٠).

يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٠ ـ ٢٠٢].

وفي الجملة فالإجمال في الدعاء أولى من التفصيل كما قدمنا، وهذه طائفة من الأدعية المباركة الميمونة كما وعدنا.

❋ ❋ ❋

طلب الهداية من الله عز وجل

● قال اللَّه تعالى في الحديث القدسي: «**يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم**»[1] أي اطلبوا هدايتي أوفقكم لها.

● وفي كل صلاة ندعو فنقول: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

● والخليل إبراهيم عليه السلام يقول: ﴿**لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ**﴾ [الأنعام: ٧٧]. وموسى عليه السلام يقول وهو خارج من بلاده متوجهًا إلى مدين: ﴿**عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾ [القصص: ٢٢].

● وقد علَّم النبي ﷺ الحسن بن علي أن يقول في الوتر[2]: «**اللَّهم اهدني فيمن هديت، وتولَّني فيمن توليت، وعافني فيمن عافيت وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت إنك تقضي ولا يُقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت تباركت وتعاليت**».

● ومن دعاء النبي ﷺ بالهداية ما أخرجه مسلم[3] في «صحيحه» من حديث عبد اللَّه بن مسعود عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**اللَّهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**».

● وفي «صحيح مسلم»[4] أيضًا من حديث عليٍّ رضي الله عنه قال: قال لي رسول

---

(١) صحيح، وقد تقدم.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٩٩، ٢٠٠)، والطبراني (في «المعجم الكبير» ٣/ ٧٥ واللفظ له)، وغيرهما وانظر تخريجه في كتابي «الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة».

(٣) مسلم (مع النووي ١٧/ ٤٣).

(٤) مسلم (مع النووي ١٧/ ٤٣).

اللَّـه ﷺ : «**قل: اللَّهم اهدني وسددني، واذكـر بالهدى هدايتك[١] الطـريق، والسداد سداد السهم**».

ويجوز الدعاء للمشركين بالهداية:

أخرج البخاري ومسلم[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قدم طفيل بن عمرو على الرسول ﷺ فقـال: يا رسول اللَّه، إن دوسًا قد عصت وأبت، فادع اللَّه عليها، فظن الناس أنه يدعـو عليهم فقال: «**اللَّهمَّ اهـد دوسًـا وأت بهم**».

● وأخرج مـسلم[٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قـال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مـشركة، فدعـوتها يومًا فـأسمعتني في رسـول اللَّه ﷺ ما أكره، فـأتيت رسول اللَّه ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسـول اللَّه، إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فـتأبى عليَّ فدعوتها اليـوم فأسمعتني فـيك ما أكره، فادع اللَّه أن يهدي أم أبي هريرة، فقال رسول اللَّه ﷺ : «**اللَّهم اهد أم أبي هـريـرة**» فخرجت مستبشـرًا بدعوة نبي اللَّه ﷺ ، فلما جئت فصرت إلى الباب فـإذا هو مجاف، فسَـمعت أمي خشف قدمي، فـقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعت خضخضة الماء، قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها، ففتحـت الباب ثمَّ قالت: يا أبا هريرة، أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن

---

(١) قوله: واذكر بالهدى هدايتك الطريق، والسـداد سداد السهم، كأنه من قول النبي ﷺ لعليٍّ يُذكرِّه مـعنى الهداية ومـعنى السداد، فكأنه قال له: قل: اللَّـهم اهدني وسددني، وحثـه على تذكر معنـى الهداية فقـال له: واذكر بالهدى الذي تسـأله ربك هدايتك في طريقك... ففي هذا إرشـاد إلى تفهم معنى الدعـوات التي يدعو بها الأشـخاص واللَّه أعلم.

(٢) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٩٦)، ومسلم (مع النووي ١٦/ ٧٧).

(٣) مسلم (مع النووي١٦/ ٥١).

محمداً عبده ورسوله، قال: فرجعت إلى رسول اللَّه ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول اللَّه، أبشر قد استجاب اللَّه دعوتك، وهدى أم أبي هريرة، فحمد اللَّه وأثنى عليه وقال خيراً.

ويجوز الدعاء عليهم كذلك:

● قال نبي اللَّه موسى عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨].

● وقال نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾ [نوح: ٢٦]، ثم بيَّن سبب ذلك فقال: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً﴾ [نوح: ٢٧].

● وقال النبي ﷺ: «اللَّهم عليك الملأ من قريش»[1].

فعلى ذلك إن رُجي من الكفار إيمانٌ دعونا لهم بالهداية، وإن اشتد ظلمهم وازداد بغيهم جاز الدعاء عليهم، وباللَّه التوفيق.

ولا يجوز الاستغفار للمشركين:

● قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [براءة: ١١٣].

● وإذا احتج أحد بقول إبراهيم عليه السلام: ﴿واغفر لأبي﴾ فإن الجواب عليه بأن اللَّه قال: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ

---

(١) صحيح، وقد تقدم.

اللَّه كفرْنا بكُمْ وبَدا بيْننا وبيْنكُمُ العداوةُ والْبغْضاءُ أبدًا حتَّىٰ تُؤْمنُوا باللَّه وحْدهُ إلاَّ قوْل إبْراهيم لأبيه لأسْتغْفرنَّ لك﴾ [الممتحنة: ٤].

● وأخرج مسلم[1] من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي**»

● وفي «الصحيحين»[2] من حديث عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: لما مات عبد اللَّه بن أبي بن سلول دُعي له رسول اللَّه ﷺ ليصلي عليه فلما قام رسول اللَّه وثبت إليه فقلت: يا رسول اللَّه، أتصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا كذا وكذا؟ قال: أعدد عليه قوله: فتبسم رسول اللَّه ﷺ وقال: «**أخِّر عنِّي يا عمر**» فلما أكثرت عليه قال: «**إني خيرت فاخترت، لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت بها**»، قال: فصلى عليه رسول اللَّه ﷺ ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيرًا حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿**ولا تُصلِّ علىٰ أحدٍ مِّنْهُم مَّات أبدًا..**﴾ إلى قوله: ﴿**وهُمْ فاسقُون**﴾ [براءة: ٨٤]. قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول اللَّه ﷺ. واللَّه ورسوله أعلم.

● وفي «الصحيحين»[3] أيضًا من حديث ابن عمر ﷺ: لما توفي عبد اللَّه ابن أبي جاء ابنه عبد اللَّه بن عبد اللَّه إلى رسول اللَّه ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول اللَّه ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول اللَّه ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إنما**

(١) مسلم (مع النووي ٧/ ٤٥).
(٢) البخاري (مع الفتح ٨/ ٣٣٣)، ومسلم (مع النووي ١٥/ ١٦٧).
(٣) البخاري (مع الفتح ٨/ ٣٣٣)، ومسلم (مع النووي ١٥/ ١٦٧).

خيرني اللَّه فقال: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [براءة: ٨٠] وسأزيده على السبعين» قال: إنه منافق. قال: فصلى عليه رسول اللَّه ﷺ فأنزل اللَّه: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ [براءة: ٨٤].

الدعاء بتثبيت القلوب والأقدام، والثبات على أمر اللَّه ورسوله:

• قال أولو الألباب: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

• وقال أهل الإيمان أيضًا: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

وقالوا كذلك: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

• وفي «مسند أحمد»[(١)] حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال:

سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع رب العالمين، إن شاء اللَّه أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه»**. وكان يقول: **«يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، والميزان بيد الرحمن عز وجل يخفضه ويرفعه»**.

• وفي «صحيح مسلم»[(٢)] من حديث عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: **«اللَّهم مصرف القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك»**.

* * *

---

(١) أحمد في «المسند» (٤/ ١٨٢).

(٢) مسلم (حديث ٢٦٥٤).

سؤال الله المغفرة

● والدعاء بالمغفرة من أكثر الأدعية الواردة في كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه ﷺ، ومن هذه الأدعية ما يلي:

● قول أهل الإيمان: ﴿رَبَّنَا آمنا فاغفر لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ [آل عمران: ١٤٧].

● وقولهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

● وقولهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

● وقولهم: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝٤ رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ٤، ٥].

● ذلك أيضًا ما ورد في قـوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝٢٨٥ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦].

● ومن ذلك أيضًا قول نبي اللَّه نوح عليه السلام: ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

● وقوله تعالى: ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾ [المؤمنون: ١١٨].

● وقول نبي اللَّه موسـى عليه السلام: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي

رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

- وقوله عليه السلام: ﴿رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي﴾ [القصص: ١٦].
- وقول أهل الإيمان: ﴿ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير﴾ [التحريم: ٨].
- وقول نبي اللَّه يونس ﷺ: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ [الأنبياء: ٨٧].

ومن أدعية الرسول ﷺ بالمغفرة ما يلي:

سيد الاستغفار:

- أخرج البخاري[١] من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**سيد الاستغفار أن يقول: اللَّهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر من صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**». قال: «**ومن قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة**».

أوفق الدعاء:

- أخرج الإمام أحمد[٢] بسند صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**إن أوفق الدعاء أن يقول الرجل: اللَّهم أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي، يا رب فاغفر لي ذنبي، إنك أنت ربي، إنه لا يغفر الذنب إلا أنت**» ثنا[٣] روح ثنا، ثنا شعبة، ثنا ابن أبي حسين المكي، عن عمرو بن عاصم، عن أبي

---

(١) البخاري (مع الفتح ١١/ ٩٧). (٢) أحمد في «المسند» (٢/ ٥١٥).

(٣) القائل: حدثنا. هو الإمام أحمد ـ رحمه اللَّه.

هريرة، عن النبي ﷺ مثله.

ومن فضل الدعاء بدعوة ذي النون:

● قال تعالى: ﴿**وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

● وأخرج الحاكم[1] بإسناد صحيح لشواهده[2] من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت لا إلا إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، إنه لم يدع بها مسلم في شيء قط إلا استجاب اللَّه له بها**».

* * *

(١) الحاكم (١/ ٥٠٥)، وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) وانظر تلك الشواهد في كتابنا «الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة».

طلب العلم النافع
والتعوذ بالله من علم لا ينفع

• قال تعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ [طه: ١١٤].

• وقال النبي ﷺ فيما أخرجه مسلم[١] من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللَّهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم وعذاب القبر، اللَّهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها، اللَّهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها**».

* * *

(١) مسلم (مع النووي ١٧/ ٤١).

طلب الشفاء من الله عز وجل

- قال إبراهيم عليه السلام: ﴿**وإذا مرضت فهو يشفين**﴾ [الشعراء: ٨٠].
- قال أيوب عليه السلام: ﴿**أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ [الأنبياء: ٨٣].

- وفي «الصحيحين»[١] من حديث عائشة رضي الله عنها، أن رسول اللَّه ﷺ إذا أتى مريضًا، أو أُتيَ به إليه، قال عليه الصلاة والسلم: «**أذهب البـاس ربَّ الناس، اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقمًا**».

وهل يدعو الشخص بالشفاء أم يترك الدعاء؟

- أخرج البخاري ومسلم[٢] من طريق عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع اللَّه لي. قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت اللَّه أن يعافيك**». فقالت: أصبر. فقالت: فإني أتكشف، فادع اللَّه لي ألا أتكشف، فدعا لها.

ولا يفهم من هذا الحديث أن ترك الدعاء بالشفاء وأن عدم الأخذ بأسبابه هو الأفضل في كل الأحوال، بل التداوي مشروع، ولذلك جاءت الأحاديث عن رسول اللَّه ﷺ تحث على التداوي وترشد إلى أنواع من العلاج وقد تداوى رسول اللَّه ﷺ وأمر بالتداوي، فعند البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما أنزل اللَّه داءً إلا أنزل له شفاءً**»[٣].

(١) البخاري (مع الفتح ١٠/ ١٣١)، ومسلم (مع النووي ١١/ ٧٦).
(٢) البخاري (مع الفتح ١٠/ ١١٤)، ومسلم (مع النووي ١٦/ ١٣١).
(٣) البخاري (حديث ٥٦٧٨).

● وأشار الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث إلى عدة طرق للفظة: **«تداووا يا عباد اللّه فإن اللّه لم يضع داءً إلا وضع له شفاءً إلا السام»**[١] .

● وعند مسلم[٢] من حديث جابر رضي الله عنه عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: **«لكل داء دواءٌ فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن اللّه عز وجل»** .

● وفي «صحيح مسلم»[٣] أيضًا أن النبي ﷺ بعث إلى أُبي بن كعب طبيبًا فقطع منه عِرقًا ثم كواه عليه.

● وفي «الصحيحين» كذلك أن النبي ﷺ احتجم[٤] وأعطى الحجام أجره، واستعط[٥] .

---

(١) السام هو الموت.

(٢) مسلم مع النووي كتاب الطب (٥/ ٥١ ط. الشعب).

(٣) مسلم (مع النووي ٥/ ٥٤)، وقال النووي هنالك: **في** هذا الحديث إشارة إلى استحباب الدواء، وهو مذهبنا، ومذهب أصحابنا وجمهور السلف وعامَّة الخلف.

قال القاضي: في هذه الأحاديث جمل من علوم الدين والدنيا، وصحة علم الطب، وجواز التطبب في الجملة، واستحبابه بالأمور المذكورة في هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم، وفيها رد على من أنكر التداوي من غلاة الصوفية، وقال: كل شيء بقضاء وقدر، فلا حاجة إلى التداوي.

وحجة العلماء هذه الأحاديث، ويعتقدون أن اللّه تعالى هو الفاعل، وأن التداوي هو أيضًا من قدر اللّه، وهذا كالأمر بالدعاء، وكالأمر بقتال الكفار، وبالتحصن، ومجانبة الإلقاء باليد إلى التهلكة، مع أن الأجل لا يتغير، والمقادير لا تتأخر ولا تتقدم عن أوقاتها، ولا بد من وقوع المقدرات واللّه أعلم.

(٤) أخرج ذلك البخاري (٥٦٩١)، ومسلم (٥/ ٥٥ ط. الشعب).

(٥) قال الحافظ في «الفتح»: **قوله: (واستعط) أي استعمل السعوط، وهو أن يستلق على ظهره ويجعل بين كتفيه ما يرفعهما لينحدر رأسه ويقطر في أنفه ماءً أو دهنًا فيه دواء مفرد أو مركب ليتمكن بذلك من الوصول إلى دماغه لاستخراج ما فيه من الداء بالعطاس.**

• وأرشد النبي ﷺ إلى العسل، بل وهو في كتاب اللّه كذلك: ﴿**فيه شفاء للناس**﴾ [النحل:٦٩]، وأرشد رسول اللّه ﷺ إلى العلاج بأبوال الإبل وألبانها، واستعمل النبي ﷺ الرقى، ودعا للمريض ورقاه جبريل عليه السلام، وكل ذلك ثابت في «الصحيحين» وغيرهما[١] .

• وقال أيوب عليه السلام: ﴿**أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ .

فالحاصل ـ واللّه تعالى أعلم ـ أن المرض منه ما يؤثر على عبادة الشخص وعلى حقوق العباد فمثل هذا يلزم التداوي له، وطلب الشفاء من اللّه والبحث عن سبل العلاج، فعلى سبيل المثال تزوج شاب بفتاة ثم أصيب بضعفٍ في الباءة فلم يستطع إعفاف زوجته فهل يُترك على هذا الحال بما يؤول إلى زوجته بالشر والفساد؟!!

وآخر مريض بالجشاء والانتفاخ فيتجشأ فيخرج من فمه ما يؤذي المصلين، وثمَّ دواء للجشاء، فهل يُترك ويدع الدواء ويؤذي المصلين برائحة فمه الكريهة مع إمكانية التداوي؟!

فمثل هذه الأنواع التي تؤثر على حقوق الآخرين وعلى عبادة الشخص يلزم أن يتداوى منها الشخص، أما ما كان من الأمراض ليس له تأثير على عبادة الشخص، ولا على حقوق العباد، وكان تحمله ممكن فمثل هذا قد يكون الصبر عليه في بعض الأحيان أولى، لحديث المرأة التي كانت تُصرع واللّه تعالى أعلم.

❊ ❊ ❊

(١) انظر أبواب الطب والمرض من البخاري ومسلم.

طلب الولد، والدعاء بصلاح الذرية (١)

● قال نبي اللَّه إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠].

● وقال عليه السلام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٣٩ - ٤١].

● وقال عليه السلام كذلك: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وقال عليه السلام: ﴿واجنبني وبني أإن نعبد الأصنام﴾ [إبراهيم: ٣٥].

● وقال إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].

● وقال زكريا عليه السلام: ﴿فهب لي من لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥]، وقال أيضًا: ﴿واجعله رب رضيا﴾ [مريم: ٦]، وقال عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].

---

(١) وينبغي أن يكون هناك مع الدعاء عملٌ صالحٌ من الآباء، فصلاح الآباء ينتفع به الأبناء، قال تعالى: ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحًا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري﴾.
وقال تعالى: ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافًا خافوا عليهم فليتقوا اللَّه وليقولوا قولاً سديدًا﴾.

● وقالت امرأة عمران لما وضعت مريم عليهما السلام: ﴿... وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦].

● وقال الذي بلغ أشده وبلغ أربعين سنةً: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

● وعباد الرحمن يقولون: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

● وقالت أم سليم: يا رسول اللَّه، أنس خادمك ادع اللَّه له، قال: «**اللَّهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته**»[1] .

* * *

---

(١) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٨٢)، ومسلم (مع النووي ١٦/ ٣٩)

مزيد من الدعوات الجامعة من الكتاب والسنة

- ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].
- ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].
- ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].
- ﴿رب اغفر لي ولأخي[1] وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين﴾ [الأعراف: ١٥١].
- ﴿رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٩٣، ٩٤].
- ﴿رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ [المؤمنون: ٩٧].
- ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٣ - ٨٩].
- ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٩].
- ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].
- ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ

---

(١) هذا إذا كان لك أخ تشركه معك في دعائك.

صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

- ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١].
- ﴿رب انصرني علي القوم المفسدين﴾ [العنكبوت: ٣٠].
- ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٣، ١٩٤].
- ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].
- ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥، ٦٦].
- ﴿على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنية للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾ [يونس: ٨٥].
- ﴿ربنا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ٥].

* * *

نبذ من الدعوات[(١)] الواردة عن رسول الله ﷺ

• وأخرج البخاري ومسلم[(٢)] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: **«اللَّهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ولك الحمد، أنت الحق ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللَّهم لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخَّرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لاإله إلا أنت ـ أو ـ لا إله غيرك»**.

• وأخرج البخاري ومسلم[(٣)] من حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنَّه كان يدعو بهذا الدعاء: **«اللَّهم اغفر لي خطيئتي وجهلي. وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به منِّي. اللَّهم اغفر لي جِدِّي وهزلي. وخطئي وعمدي. وكُلُّ ذلك عندي. اللَّهم اغفر لي ما قدَّمت وما أخرْت. وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به منِّي. أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير»**.

• وعند مسلم[(٤)] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول اللَّه ﷺ يقول: **«اللَّهمَّ أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري. وأصلح لي دُنياي التي فيها.**

---

(١) هذه فقط بعض الدعوات، وكما نبهنا فثمَّ أدعية أُخر، وأدعية موظفة مخصوصة ليس هذا الكتاب محلها.

(٢) البخاري (حديث ١١٢٠)، ومسلم (مع النووي ٦/ ٥٤).

(٣) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٩٦)، ومسلم (حديث ٢٧١٩).

(٤) مسلم (٢٧٢٠).

معاشي. وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي. واجعل الحياة زيادة لي في كل خير. واجعل الموت راحة لي من كل شر».

● وأخرج مسلم[١] في «صحيحه» من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: علمني كلامًا أقوله: قال: **«قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، سبحان الله رب العالمين، لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم»** قال: هؤلاء لربي فما لي؟ قال: **«قل: اللَّهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني»**.

● وأخرج مسلم[٢] في «صحيحه» من طريق أبي مالك الأشجعي عن أبيه قال: كان الرجل إذا أسلم علمه النبي ﷺ الصلاة ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات: **«اللَّهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني»**.

● وأخرج مسلم[٣] من حديث زيد بن أرقم ﷺ قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول: كان يقولُ: **«اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل، والهرم وعذاب القبر، اللَّهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليُّها ومولاها. اللَّهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يُستجاب لها»**.

❋ ❋ ❋

(١) مسلم (١٧/ ١٩).
(٢) مسلم (مع النووي ١٧/ ٢٠).
(٣) مسلم (حديث ٢٧٢٢).

مواصلة الدعاء وتكريره
وعدم اليأس من رحمة الله عز وجل

فينبغي أن يواصل الداعي دعاءه[١] ويكرره، وهو مأجور على ذلك، ومُجاب إلى مسألته بإذن اللَّه:

● ففي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ويستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت ربي فلم يستجب لي»**[٢] .

● وفي رواية لمسلم من حديث أبي هريرة أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل»**. قيل: يا رسول اللَّه، ما الاستعجال؟ قال: **«يقول: قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء»**[٣] .

● ورسولنا ﷺ يوم بدر استقبل القبلة ثم مدَّ يديه فجعل يهتف بربه: **«اللَّهم أنجز لي ما وعدتني، اللَّهم آت ما وعدتني، اللَّهم إن تُهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض»**. فما زال يهتف بربه مادًّا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي اللَّه كذاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما

---

(١) والدعاء نوع دواء، والدواء حتى دواء الدنيا قد لا تكفي جرعةٌ منه ولا جرعتان ولا ثلاث، بل ولا عشر لشفاء المريض، إلا إذا أراد اللَّه الشفاء، وكذلك فالدعاء ينبغي أن يتكرر.

(٢) البخاري (حديث ٦٣٤٠)، ومسلم (مع النووي ١٧/ ٥١).

(٣) مسلم (مع النووي ١٧/ ٥٢).

وعدك، فأنزل اللَّه: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ...**﴾ [الأنفال: ٩]»[١].

● وقد سُحر النبي ﷺ فدعا ودعا[٢].

● ومن ذلك قول النبي ﷺ لعثمان بن أبي العاص لما شكا إليه وجعًا يجده في جسده منذ أسلم: «**ضع يدك على الذي تألَّم من جسدك وقل: باسم اللَّه ثلاثًا، وقل: سبع مرات: أعوذ باللَّه وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**»[٣].

● وكذلك آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وخروجًا من النار، رجل يقول: «**يا رب لا تجعلني أشقى خلقك، فلا يزال يدعو حتى يضحك، فإذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها**»[٤].

ثم إن النبي ﷺ كان يكرر الدعاء ويواصل:

● فمن تكريره الدعاء، دعاؤه على قريش بقوله: «**اللَّهم عليك بقريش**»[٥] ثلاث مرات.

---

(١) مسلم (حديث ١٧٦٣).

(٢) البخاري (حديث ٥٧٦٣)، ومسلم (حديث ٢١٨٩).

(٣) مسلم (حديث ٢٢٠٢).

(٤) البخاري (حديث ٦٥٧٣)، ومسلم (حديث ١٨٢).

(٥) أخرج ذلك البخاري (حديث ٢٤٠)، ومسلم (مع النووي ١٢/ ١٥٠) من حديث عبد اللَّه بن مسعود أن النبي ﷺ كان يُصلِّي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوسٌ إذ قال بعضهم لبعض أيُّكم يجيء بسلى جزور بَني فلانٍ فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعثَ أشقى القوم فجاء به، فنظر حتى إذا سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أُغني شيئًا، لو كانت لي منعةٌ. قال: فجعلوا يضحكون ويُحيل بعضهم على بعض، ورسول اللَّه ﷺ ساجدٌ لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة فطرحت عن ظهرِه، فرفع رأسه ثم قال: «اللَّهم عليك بقريش» ثلاث مرات. فشق عليهم إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم سمى: =

• وقول النبي ﷺ[1] : «**اللَّهم اسقنا اللَّهم اسقنا اللَّهم اسقنا**» ، وذلك لما أتاه رجل وهو قائم على المنبر يخطب، فقال: يا رسول اللَّه، هلكت المواشي، وانقطعت السبل فادع اللَّه أن يغيثنا.

• وكان النبي ﷺ **إذا دعا دعا ثلاثًا**، وإذا سأل سأل ثلاثًا[2] .

أما عدم اليأس من رحمة الله عز وجل فقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾:

• وهذا **نبي اللَّه يعقوب** ﷺ ما زال يدعو ويدعو فذهب بصره واشتد روعه وأُلقي **ولده في الجب** ولا يدري عنه شيئًا، وأخرج الولد من الجب ودخل قصر العزيز إلى أن شبَّ وترعرع ثم راودته المرأة عن نفسها فأبى وعصمه اللَّه ثم دخل السجن فلبث فيه بضع سنين ثم أخرج من السجن وكان على خزائن الأرض ومع طول هذا الوقت كله ويعقوب يقول لبنيه: **﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾** [يوسف:٨٧].

• ونبي اللَّه أيوب عليه السلام لبث به بلاؤه ثمانية عشر عامًا حتى رفضه القريب والبعيد وعجز الأطباء عن مداواته، ومع ذلك لا ييأس من رحمة اللَّه، بل يقول: **﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾** [الأنبياء:٨٣]، فيكشف

«اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي مُعيط» وعدَّ السابع فلم نحفظه، قال: فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عدَّ رسول اللَّه ﷺ صَرعى في القَليب، قَليب بدر.

(١) البخاري (مع الفتح ٢/ ٥٠١)، ومسلم (مع النووي ١/ ٦٩٤).

(٢) أخرجه مسلم (حديث ١٧٩٤) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وهذا لا يطرد، فقد ورد في عدة أحاديث أن النبي ﷺ دعا فلم يكرر دعاءه.

اللَّه ما به من ضر ويثني اللَّه عليه خير ثناءٍ فيقول سبحانه: ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾ [ص: ٤٤].

* * *

النهي عن الاستعجال في الدعاء

• وأخرج البخاري ومسلم[١] (واللفظ لمسلم) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول: قد دعوت ربي فلم يستجب لي**».

• وفي لفظ لمسلم: «**لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل**» قيل: يا رسول اللَّه، ما الاستعجال؟ قال: «**يقول: قد دعوت، وقد دعوت فلم أر يستجيب لي فيستحسر عند ذلك فيدع الدعاء**».

* * *

(١) البخاري (حديث ٦٣٤٠)، ومسلم (مع النووي ١٧/ ٥١).

كلمة جامعة لابن القيم في صفة الدعاء المستجاب

قال ـ رحمه اللَّه ـ في كتابه «الجواب الكافي»:

وإذا اجتمع مع الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب، وصادف وقتًا من أوقات الإجابة الستة وهي: الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وإدبار الصلوات المكتوبات، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة وآخر ساعة بعد العصر من ذلك اليوم، وصادف خشوعًا في القلب، وإنكسارًا بين يدي الرب، وذلاً له وتضرعًا ورقة، واستقبل الداعي القبلة، وكان على طهارة، ورفع يديه إلى اللَّه وبدأ بحمد اللَّه والثناء عليه، ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله ﷺ. ثم قدم بين يدي حاجته إلى التوبة والاستغفار ثم دخل على اللَّه، وألح عليه في المسألة، وتملقه ودعاه رغبة ورهبة. وتوسل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده وقدم بين يدي دعائه صدقة، فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبدًا، ولا سيما إن صادف الأدعية التي أخبر النبي ﷺ أنها مظنة الإجابة، أو أنها متضمنة للاسم الأعظم.

وقال ـ رحمه اللَّه ـ أيضًا:

وكثيرًا ما نجد أدعية دعا بها قوم فاستجيب لهم، فيكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه وإقباله على اللَّه، أو حسنة تقدمت منه جعل اللَّه سبحانه إجابة دعوته شكرًا لحسنته، أو صادف الدعاء وقت إجابة، ونحو ذلك. فأجيبت دعوته، فيظن الظان أن السر في لفظ ذلك الدعاء فيأخذه مجردًا عن تلك الأمور التي قارنته من ذلك الداعي، وهذا كما إذا استعمل رجل دواء

نافعًا في الوقت الذي ينبغي فانتفع به، فظن غيره أن استعمال هذا الدواء مجردًا كاف في حصول المطلوب فإنه يكون بذلك غالطًا. وهذا موضع يغلط فيه كثير من الناس. ومن هذا قد يتفق من يدعو دعاء باضطرار عند قبر فيجاب له، فيظن الجاهل أن السر في القبر، ولم يعلم أن السر للاضطرار وصدق اللجأ إلى اللَّه، فإذا حصل ذلك في بيت من بيوت اللَّه كان أفضل وأحب إلى اللَّه.

وقال أيضًا:

والأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه، لا بحده فقط، فمتى كان السلاح سلاحًا تامًا لا آفة به، والساعد ساعدًا قويًا، والمانع مفقودًا، حصلت به النكاية في العدو، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير، فإن كان في نفسه غير صالح، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء، أو كان ثم مانع من الإجابة، لم يحصل الأثر.

* * *

دفع إشكال وإجابة على سؤال
(بيان سبب تخلف الإجابة أو تأخرها)

• أما وقد قال تعالى: ﴿**أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ وقال سبحانه: ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر: ٦٠]، فقد يرد على البعض إشكال وتساؤلٌ مؤداه:

ما بال أقوام يرفعون أيديهم إلى السماء سائلين ربهم ولا يرون أن قد استجيب لهم دعاءٌ؟!!

فللإجابة على هذا التساؤل نقول وباللَّه التوفيق:

ابتداءً فإن قول اللَّه حق، ووعد اللَّه صدق، والعبد يُثاب كلما رفع يديه وكلما دعا؛ فالدعاء عبادة كما قدمنا، وسواء استجيب الدعاء في الظاهر أم لا ولكن دفعًا للشكوك والريب، وجلبًا لطمأنينة القلب، وحثًا على مواصلة الدعاء، نورد ما ذكره أهل العلم من أوجهٍ لدفع هذا الإشكال، وما أوردوه للإجابة على هذا السؤال فنقول، وباللَّه التوفيق:

قد أورد العلماء عدة أوجهٍ لذلك، نورد منها ما يلي:

الوجه الأول: أن الدعاء قد يستجاب ولكننا لا نعرف الصورة التي يستجاب بها الدعاء، فقد تكون صورة الاستجابه تتمثل في صرف السوء عن الداعي، وقد تتمثل صورة الإجابة في ادخار الإجابة إلى الآخرة، كما قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما من مسلم يدعو اللَّه بدعوةٍ ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه اللَّه بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخر له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**»[1] .

---

(١) أحمد في «المسند» (٣/ ١٠٩) وإسناده حسن.

وكإيضـاح لذلك: فقد يدعو رجل فـيقول: اللَّهم ارزقني، اللَّهم ارزقني، فيرزقه اللَّه عز وجل عاجلاً أو آجلاً.

أو تكون هناك خسـارة ستحل به فـيصرفهـا اللَّه سبحـانه وتعالى عنه، أو يكون هناك مرضٌ وبلاءٌ سـينزل به ويستنزف منه أموالاً للعلاج فـيصرف اللَّه ذلك عنه، أو أنه سيشـتري أشياء غير نافـعة فيصرفهـا اللَّه عنه إلى غير ذلك من الصور.

أو يكون هناك رجل قـام يدعـو: اللهم عـافني من مـرضي وأذهب عني البـأس، ولا يرى أن البـأس في الظاهر قـد ذهب، ولكن قـد يكون المرض سيتطور، فيصرف اللَّه هذا عنه.

أو أن رجلاً هنالك يقول: رب ارزقني، وقد علم اللَّه أن التوسعة عليه في الرزق ستـؤثر على درجاته في الجنات، فـيدخـر اللَّه له رفعـة الدرجات في الجنان، وذلك خيرٌ وأبقى، فلا يسع العـبد حينئذ إلا أن يواصل الدعاء ثم إن ربه سبحانه يتولاه ويعطيه من الخير ما سأله وما لم يسأل.

الوجه الـثاني: من العلماء من قال: إن الآية الكريمة مقيـدةٌ بمشيئة اللَّه عز وجل، والمعنى: أُجيب دعوة الداع إن شئت، ومسـتند القائلين بهذا القول هو قـوله تـعـالى: ﴿**بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ**﴾ [الأنعام:٤١]، لكن الذي يُعكر على هذا القول هو أن سياق هذه الآية الكريمة إنما هو في المشركين[١] .

---

(١) قال الشنقـيطي ـ رحمه اللَّه تعـالى ـ (أضواء البيـان ١/ ١٠٤): وقال بعضـهـم: التعليق بالمشيـئة في دعاء الكفـار كما هو ظاهر سـياق الآية، والوعد المطـلق في دعاء المؤمنين، وعليه فدعاؤهم لا يُرد، إما أن يُعطوا مـا سألوا أو يُدخر لهم خيرٌ منه أو يدفع عنهم من السوء بقدره.

ولكن هذا التعكير لا يتم أيضًا، فالأمور كلها بيد اللَّه إن شاء تفضل وأعطى ووهب، وإن شاء عاقب وحرم ومنع.

الوجه الثالث: أن المراد بالدعاء هنا دعاء العباد ربهم أن يتقبل منهم أعمالهم ويثيبهم على طاعتهم، وإجابة هذا من اللَّه معناها الوفاء لهم بما وعدهم به وبما ضمنه للمطيعين من الثواب كما قال تعالى: ﴿**وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ**﴾ [الشورى:٢٦] ، فمعنى أجيب دعوة الداع[١] : أتقبل عمل العامل وأثيبه عليه، وشاهد ذلك قول رسول اللَّه ﷺ : «**الدعاء هو العبادة**»[٢] .

الوجه الرابع: قال بعض أهل العلم: إن الداعي قد يعتقد المصلحة في إجابته إلى ما سأل، وقد لا تكون المصلحة في ذلك فيجاب إلى مقصوده الأصلي وهو طلب المصلحة، وقد تكون المصلحة في التأخير أو المنع.

وكإيضاحٍ لذلك: قد يسأل سائل ربه عز وجل أن ييسر له سفرًا إلى بلدة من البلدان ويجتهد في الدعاء، وسفره رغبة في طلب الرزق، وقد ادخر اللَّه له رزقًا في بلدته، فلا يجاب إلى سؤاله للسفر، ويرزقه اللَّه رزقًا واسعًا في بلدته أو يكون هناك بلاءٌ سيحل به في سفره، فيصرفه اللَّه عنه، واللَّه يعلم ونحن لا نعلم.

---

(١) قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه: الدعاء نوعان: دعاء ثناء، ودعاء مسألة، والنبي ﷺ كان يكثر في سجوده من النوعين، والدعاء الذي أمر به في السجود يتناول النوعين، والاستجابة أيضًا نوعان: استجابة دعاء الطالب بإعطائه سؤاله واستجابة دعاء المُثني بالثناء، وبكل واحد من النوعين فُسِّر قوله تعالى: ﴿أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾ [البقرة:١٨٦]، والصحيح أنه يعم النوعين.

(٢) صحيح، وقد تقدم.

● وقد يسأل الشخص ربه أن يتزوج بفلانة لما يراه فيها من حسنٍ وجمال ومنظر وبهاء، ولكن قد علم ربه أن في الزواج منها شرًّا وأنها ستكون عقيمًا أو بذيئة اللسان أو ليست أمينة على نفسها وبيتها. أو ليست بمحسنةٍ إلى أهله ووالديه، وليست بجميلة المعاشرة فيصرف اللَّه عنه الشر وهو لا يشعر.

الوجه الخامس: ذكر بعض العلماء هنا أن معنى (أجيب) أي: أسمع، فقوله تعالى: ﴿**أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ**﴾ أي: أسمع دعوة الداع وذلك كقولنا في الصلاة: سمع اللَّه لمن حمده، أي: أجاب اللَّه[1].

الوجه السادس: أن المراد من الدعاء التوبة من الذنوب، وذلك لأن التائب يدعو اللَّه تعالى عند التوبة، وإجابة الدعاء بهذا التفسير عبارة عن قبول التوبة.

الوجه السابع: أن الإجابة قد تتأخر حتى يجتهد الداعي في الدعاء، وكلما اجتهد في الدعاء أثابه اللَّه ورفع درجته، ومن ثم ابتلي بعض الأنبياء عليهم صلوات اللَّه وسلامه، ودعوا ربهم كثيرًا كثيرًا، وتأخرت الإجابة مع اجتهادهم في الدعاء، فهذا نبي اللَّه أيوب عليه السلام لبث به بلاؤه ثمانية عشر عامًا حتى رفضه القريب والبعيد، ومع ذلك يدعو ويدعو ويدعو ويخرج من البلاء صابرًا محتسبًا يثني عليه ربه فيقول: ﴿**إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب**﴾ [ص:٤٤] وهذا الحديث بذلك:

---

(١) قال الرازي في تفسيره: وقال ابن الأنباري (أجيب) هاهنا بمعنى أسمع لأن بين السماع وبين الإجابة نوع ملازمة فلهذا السبب يقام كل واحد منهما مقام الآخر، فقولنا: سمع اللَّه لمن حمده، أي: أجاب اللَّه. فكذا هاهنا قوله: ﴿أجيب دعوة الداع﴾ [البقرة:١٨٦]، أي: أسمع تلك الدعوة فإذا حملنا قوله تعالى: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ على هذا الوجه زال الإشكال.

• أخـــرج أبو يـعلى[١] عن أنس بن مـالك ﷺ قـال: قال رسـول اللَّه ﷺ: **«إن أيوب نبي اللَّه كان في بلائه ثماني عشر سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلان من إخوانه كانا من أخص إخوانه كانا يغـدوان إليه ويروحان إليه، فقال أحدهما لصاحبه: أتعلم واللَّه لقد أذنب أيوب ذنبًا مـا أذنبه أحد، قال صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثمـاني عشرة سنة لم يرحمـه اللَّه فيكشف عنه؟ فلما راحـا إليه لم يصبـر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقـال أيوب: لا أدري ما يقول، غـير أن اللَّه يعلم أني كنت أمر على الرجلـين يتنازعان فيذكـران اللَّه فأرجع إلى بيتـي فأكفر عنهـما كراهية أن يذكـر اللَّه إلا في حق، قال: وكان يخرج إلى حـاجته فإذا قضى حـاجته أمسكت امـرأته بيده حتى يبلغ فلـما كان ذات يوم أبطأ عليـها، وأوحى إلى أيوب في مكانه أن ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ فاستبطأته فلـقيته ينتظر وأقـبل عليهـا قد أذهب اللَّه مـا به من البـلاء وهو على أحسن مـا كان، فلمـا رأته قالت: أي بارك اللَّه فيك هل رأيت نبي اللَّه هذا المبتلى؟ وواللَّه على ذلك ما رأيت أحدًا أشبه به منك إذ كان صحيحًا، قال: فإني أنا هو. وكان له أندران أندر للقمح، وأندر للشعيـر فبعث اللَّه سحـابتين فلما كانت إحداهما علـى أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورِق حتى فاض»**.

• وهذه أم المؤمنين عائشة تُرمى بما رُميت به من الإفك والـبهتان وتدعو، وكل المسلمين يدعون ربـهم ويستمر الـبلاء ويستمـر، بل وينقطع الوحي عن رسول اللَّه ﷺ فتزداد المشقة وتزداد ثم يكشف اللَّه عز وجل الكرب ويرفع اللَّه عز وجل البلاء، وكان بالإمكان أن تجاب الدعوات لأول وهلة، وفي أول لحظة ولكن ليرفع اللَّه درجات أقوام، وليوفى الصابرون أجرهم بغير حساب، وأيضًا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينةٍ، وليميز اللَّه الخبيث

---

(١) أبو يعلى بإسناد صحيح (٣٦١٧).

من الطيب، وليظهر اللَّه أهل الإيمان من أهل النفاق.

ونبي اللَّه ﷺ سُحر،[1] **فدعا ودعا ودعا،** واستمر به سحره زمنًا، ولا يَعجز اللَّه عز وجل أن يشفي نبيه من أول لحظة، بل هو قادر على أن يحفظ نبيه من أن يُصاب بأذى ولكنه عليه الصلاة والسلام يُبْتلى ويدعو ويثيبه اللَّه على كل دعوة دعا بها.

● وهذا نبي اللَّه يعقوب ﷺ يفقد ولده يوسف عليه السلام عشرات السنين، ومع ذلك لا ييأس ولا يقنط من رحمة اللَّه بل يقول: ﴿**يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [يوسف: ٨٧].

● وجده الخليل إبراهيم عليه السلام يبشره الملائكة بالغلام الحليم فيقول: ﴿**أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ**﴾ [الحجر: ٥٤ - ٥٦].

الوجه الثامن: أن تكون هناك موانع تمنع من إجابة الدعاء:

● كأن يدعو الشخص بإثم أو قطيعة رحم، ففي الحديث: «**يستجاب لأحدكم ما لم يدعو بإثم ولا بقطيعة رحم**».

● وكأن تكون هناك دعوة مظلوم يدعو بها على الظالم، فدعوة المظلوم تغلب دعوة الظالم وتقهرها.

فعلى سبيل المثال يرفع الظالم يديه بالدعاء، وهناك مظلوم يئن ويتوجع

---

(١) حديث سحر النبي ﷺ أخرجه البخاري (٥٧٦٥، ٥٧٦٦)، ومسلم (٢١٨٩) من حديث عائشة ﵂ وفيه أنها قالت: سُحر النبي ﷺ حتى إنه ليُخَيَّلُ إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا اللَّه ودعاه... الحديث.

ويدعو على ظالمه فترى أي الدعوتين تجاب؟! إن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، يرفعها الله فوق الغمام ويقول: «**بعزتي لأنصرنك ولو بعد حين!**».

● وكأن يرفع الشخص يديه إلى السماء ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام، فأنى يستجاب له.

● قال رسول الله ﷺ[١] «**إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾** [المؤمنون: ٥١]، وقال: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾** [البقرة: ١٧٢]»، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يده إلى السماء يا رب، يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام، وملبسه حرامٌ وغُذِي بالحرام فأنى يستجاب لذلك؟

فترى كيف يستجاب من فمٍ ملوثٌ بالحرام؟ وكيف يستجاب من جسم نبت من سُحتٍ؟

ونحن نعلم أن إنبات الثمر مقدر، ومع ذلك لا بد من رعاية الزرع والاهتمام به وفعل ما يُصلحه حتى يثمر، وقصة تأبير النخيل مشهورة:

● فقد أخرج مسلم[٢] من طريق موسى بن طلحة عن أبيه قال: مررت مع رسول الله ﷺ بقوم على رءوس النخل، فقال: «**ما يصنع هؤلاء؟**» فقالوا: يلقحونه: يجعلون الذكر في الأنثى فتلقح، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أظن يغني ذلك شيئًا**»، قال: فأخبروا بذلك فتركوه، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «**إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظنًا، فلا تؤاخذوني**

---

(١) مسلم (حديث ١٠١٥).   (٢) مسلم (٢٣٦١).

بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئًا فخذوا به؛ فإني لن أكذب على الله عز وجل».

● وعند مسلم[1] أيضًا من حديث رافع بن خديج ﷺ قال: قدم نبي الله ﷺ المدينة وهم يأبرون النخل يقولون: يلقحون النخل، فقال: «**ما تصنعون؟**» قالوا: كنا نصنعه، قال: «**لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرًا**» فتركوه، فنفضت أو فنقصت[2] . قال: فذكروا ذلك له فقال: «**إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر**» قال عكرمة: أو نحو ذلك.

● وفي «صحيح مسلم»[3] أيضًا من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ مر بقوم يلقحون فقال: «**لو لم تفعلوا لصلح**» قال: فخرج شِيصًا[4] ، فمر بهم فقال: «**ما لنخلكم؟**» قالوا: قلت كذا وكذا. قال: «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**».

الوجه التاسع: من أهل العلم من قال: ﴿**أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ**﴾ إذا استوفى الداعي آداب الدعاء وشرائطه وانتفت الموانع.

الوجه العاشر: أن تتخلف الأسباب كأن يدعو الرجل بسعة الرزق، وهو جالس لا يلتمس أسبابه ولا يسعى في تحصيله، فيكون قد خالف قوله تعالى: ﴿**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ**﴾ [الملك: ١٥]، وقد قال تعالى أيضًا: ﴿**وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ**﴾ [المزمل: ٢٠]

---

(١) مسلم (حديث ٢٣٦٢).

(٢) يؤبرون النخيل: يدخلون شيئًا من طلع الذكر في طلع الأنثى فتعلق بإذن الله.

(٣) حديث (٢٣٦٣).

(٤) الشيص هو: البسر الرديء الذي إذا يبس صار حشفًا.

● وكذلك الذرية مقدرة، ومع ذلك لا بد من أخذ الأسباب الموصلة إليها، فإذا تزوج رجل امـرأة وبقي شهوراً لم يجامـعها وقال لهـا ذات يوم: قومي ندعو اللَّه أن يرزقنا الولد في الثلث الأخير من الليل، ترى كيف تجيبه زوجته وبما تجيبـه؟! وهو لم يجامعهـا ويسأل اللَّه الولد من غير جمـاع أظنه سيكون أضحوكة عندها!

* * *

وهل تستجاب جميع دعوات الصالحين

لا يلزم أن تستجاب جـميع دعوات الصالحين، فربنا سبـحانه وتعالى يعلم ونحن لا نعلم، وقد يرى أهل الصلاح الخير في أمر، والله يعلم أن الخير في خلافه، قـال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦].

أما الأدلة على أن بعض دعوات الصالحين قد تتخلف، فمنها ما يلي:

● دعا إبراهيم عليـه السلام ربَّه سبـحانه أن يرزق أهل المسجـد الحرام من الثـمرات ثم أراد أن يقـتصـر الرزق على المؤمنين فلم يُجب إلى ذلك، قـال إبراهيم عليـه السلام: ﴿... وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:١٢٦].

● وقال النبي ﷺ: «**سألت ربي ثلاثًا، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة**»[١].

● ولما دعا النبي ﷺ[٢] على قوم باللعن نزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران:١٢٨].

* * *

(١) مسلم (ص ٢٢١٦).

(١) وسيأتي الحديث في باب الدعاء باللعن.

من عجلت له دعوته في الدنيا هل يُنقص من أجره في الآخرة؟

ابتداءً فـفضل اللَّه واسع، وربنا سبـحانه وتعالى كـريم، وليس هناك مانع بحالٍ من الأحـوال أن يكرم اللَّه عباده في الدنيا والآخـرة، وأن يجعلهم في رفـعة دائمـة في الدنيـا والآخرة، ولا يعـجـزه شيءٌ في السمـوات ولا في الأرض، وثمَّ قوم أنعم اللَّه عليـهم غاية الإنعام في الدنيـا ثم هم في الآخرة من الصالحين المقربين.

- فنبينا محـمد ﷺ شرح اللَّه له صدره ورفع اللَّه له ذكـره وفتحت له فارس والروم، ثم هو يوم القيامة سيد ولد آدم.

- وعيـسى عليه السـلام قال اللَّه عنه: ﴿**وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**﴾ [آل عمران: ٤٥].

- ويوسف عليه السلام آتاه اللَّه من الملك وعلمه من تأويل الأحاديث، ثم هو يوم القيامة في الدرجات العلى والنعيم المقيم.

- وداود عليه السلام آتاه اللَّه الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ثم له عند اللَّه يوم القيامة زلفى وحسن مآب.

- وكذا ولده سليمـان عليه السلام آتاه اللَّه ملكًا لا ينبـغي لأحد من بعده ثم أيضًا يقول تعالى في شأنه: ﴿**وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ**﴾ [ص: ٤٠].

فلا يمتنع أبدًا أن يكرم اللَّه شخصًا في الدنيا والآخرة معًا، بل هناك خلائق لا يعلم عـددهم إلا اللَّه يكـرمهـم اللَّه في الدنيـا والآخـرة ويوسع عليـهم ويعافيهم ويطمئن قلوبهم ويهدي بالهم في الدنيا والآخرة.

ومن ثمَّ فلا ينبغي أن يقصِّر شخص في الدعاء بخيري الدنيا والآخرة معًا، بل كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**»[١].

وقال تعالى: ﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾.

● وقد دعا النبي ﷺ لعدد من أصحابه بسعة الرزق في الدنيا وبكثرة الولد، فدعا لأنس بقوله: «**اللَّهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته**»[٢].

واستسقى النبي ﷺ لقومه كذلك، ودعا إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿ **وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾ [البقرة: ١٢٦].

وقال: ﴿ **وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ** ﴾ [الشعراء: ٨٤]، أي: ثناءً حسنًا فيمن يأتون من بعدي.

● ولكن أيضًا قد وردت جملة من الأدلة تشعر بأن من أُعطي مسألته في الدنيا قد يؤثر ذلك على منزلته العُليا في الآخرة.

● فمن ذلك قول النبي ﷺ[٣]: «**لكل نبي دعوة مستجابة فتعجَّل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**»، وفي رواية أخرى[٤]: «**لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها فيستجاب له فيؤتاها وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**».

---

(١) أخرج البخاري (مع الفتح ١١/ ١٩١)، ومسلم (١٧/ ١٦) من حديث أنس رضي الله عنه قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

(٢) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٨٢)، ومسلم (مع النووي ١٦/ ٣٩).

(٣)، (٤) كلاهما عند مسلم (حديث ١٩٩).

● وكذلك فإن نبي اللَّه نوح عليه الصلاة والسلام يقول يوم القيامة معتذرًا حينما تطلب منه الشفاعة: «**...وإنه قد كانت لي دعوةٌ دعوت بها على قومي**»[١].

● وقد خُيِّر النبي ﷺ بين أن يكون عبدًا رسولاً، وبين أن يكون ملكًا نبيًا فاختار أن يكون عبدًا رسولاً.

● ولما دعا سعد بن أبي وقاص على بعض الظلمة فاستجاب اللَّه دعاءه حلف ألا يدعو على أحد:

● أخرج الحاكم في «المستدرك»[٢] من حديث سعد أن رجلاً نال من علي رضي الله عنه فدعا عليه سعد بن مالك فجاءته ناقة أو جمل فقتله، فأعتق سعد نسمة وحلف أن لا يدعو على أحد.

وقد يفهم من هذا أن سعدًا رأى أن ادخار الإجابة للآخرة أولى، أو أن

---

(١) مسلم (حديث ١٩٤).

(٢) الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤٩٩) وسنده حسن، وله شاهد تفصيلي عند الحاكم (٣/ ٤٩٩) من طريق قيس بن أبي حازم قال: كنت بالمدينة فبينا أنا أطوف في السوق إذ بلغت أحجار الزيت فرأيت قومًا مجتمعين على فارس قد ركب دابة وهو يشتم علي بن أبي طالب، والناس وقوف حواليه إذ أقبل سعد بن أبي وقاص فوقف عليهم فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجل يشتم علي بن أبي طالب، فتقدم سعد فأفرجوا له حتى وقف عليه فقال: يا هذا، علامَ تشتم علي بن أبي طالب؟ ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلى مع رسول اللَّه ﷺ؟ ألم يكن أزهد الناس؟ ألم يكن أعلم الناس؟ وذكر حتى قال: ألم يكن ختن رسول اللَّه ﷺ على ابنته؟ ألم يكن صاحب راية رسول اللَّه ﷺ في غزواته؟ ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال: اللَّهم إن هذا يشتم وليًا من أوليائك فلا تفرق هذا الجمع حتى تريهم قدرتك. قال قيس: فواللَّه ما تفرقنا حتى ساخت به دابته فرمته على هامته في تلك الأحجار فانفلق دماغه ومات.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

العفو أولى والله أعلم.

ولما قال عمر: يا رسول الله، ادع الله فليوسِّع على أمتك، فإن فارس والروم قد وسِّع عليهم وأُعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله، فجلس رسول الله ﷺ وكان متكئًا فقال: «**أوَ في هذا أنت يا ابن الخطاب؟ إن أولئك قومٌ قد عُجِّلوا طيباتهم في الحياة الدنيا**»[1] .

وأيضًا فقد أرشد الله سبحانه وتعالى المظلوم إلى العفو عن ظالمه وعدم الدعاء عليه كما قال تعالى: ﴿**لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ**﴾ [النساء:١٤٨]، ثم ندب إلى العفو بقوله: ﴿**أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا**﴾، وذلك والله أعلم مفاده أن الداعي عن من ظلمه وإن استجيبت دعوته إلا أنه أقل أجرًا من الذي يعفو.

وقال النبي ﷺ للمرأة السوداء التي كانت تصرع: «**إن شئت دعوت الله فشفاك، وإن شئت صبرت ولكي الجنة**»[2] ، ثم إنه أيضًا من المعلوم أن الأنبياء الملوك وإن كانوا في أعلى درجات الجنان عليهم الصلاة والسلام، إلا أنهم أقل منزلة من أولي العزم من الرسل، فنوح عليه السلام وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم جميعًا وسلم أعلى درجة من سليمان وداود ويوسف عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين، وفي كل خير.

إلا أن هذا الذي ذكر من كون تعجيل الإجابة ينقص الأجر الأخروي يمكن الجواب على كثير منه بأن يُقال، والله أعلم بالصواب: إن قوله عليه الصلاة والسلام لكل نبي دعوة مستجابة، هذا في الدعوة العامة، فلكل نبي دعوة

---

(١) الحديث بذلك أخرجه البخاري (حديث ٥١٩١).

(٢) البخاري (حديث ٥٦٥٢)، ومسلم (حديث ٢٥٧٦).

واحدة عامة مستجابة، وهذه خاصة بالأنبياء عليهم الصلوات والسلام، ولا شك أن تأجيلها للآخرة أفضل كما قد اختار ذلك النبي ﷺ ويمكن الجواب على كون النبي اختار أن يكون عبدًا رسولاً لما أرشده جبريل إلى ذلك.

وقول الرسول ﷺ لعمر: «**أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم**»، هذا لدفع ما قد يتسرب أن الأجر الدنيوي مقابل الإيمان.

أما كون العباد المرسلين أعلى درجة من الأنبياء الملوك، فهذه منازل سبقت في علم اللّه تعالى.

وعلى كلٍّ فلا ينبغي أن يهمل الدعاء بخيري الدنيا والآخرة بل على المسلم أن يكثر من الدعاء بهما معًا فـأكثر دعوة كان النبي ﷺ يدعو بها: «**اللّـهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**».

وفي ثنايا هذا الكتـاب كمٌّ هائل من مثل هذه الدعـوات، ولذلك ضوابط تجدها في ثنايا هذا الكتاب ـ إن شاء اللّه.

* * *

الدعاء للنفس قبل الآخرين

وذلك لعموم قول النبي ﷺ : «**ابدأ بنفسك**»[١] .

● وقد أخرج أحمد[٢] في «مسنده» من حديث أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان[٣] رسول اللَّه ﷺ إذا دعا لأحدٍ بدأ بنفسه فذكر ذات يومٍ موسى فقال: «**رحمة اللَّه علينا وعلى موسى، لو كان صبر لقصَّ اللَّه علينا من خبره، ولكن قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرًا**» .

* * *

جواز الدعاء للآخرين فقط في بعض الأحيان

وإن كان المستحب ـ كما قدمنا ـ أن يبدأ الشخص بالدعاء لنفسه قبل الآخرين، لكن لا بأس أن يقتصر في بعض دعواته على الآخرين فقط إن دعت الحاجة إلى ذلك، أخرج البخاري ومسلم[٤] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قسم النبي ﷺ قسمًا فقال رجل: إن هذه لقسمة ما أُريد بها وجه اللَّه، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فغضب حتى رأيت الغضب في وجهه ثم قال: «**يرحم اللَّه موسى، قد أُوذي بأكثر من هذا فصبر**» .

* * *

---

(١) رواه مسلم برقم (٩٩٧) من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما.

(٢) أحمد في المسند (٥/ ١٢١)، وقد أوردته في «الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة» مع الحكم عليه.

(٣) و(كان) لا تفيد الديمومة.

(٤) البخاري (مع الفتح ٦/ ٤٣٦)، ومسلم (حديث ١٠٦٢).

تعميم الدعاء

ويستحب للشخص أن يُعمم في دعائه حيث يحتاج الأمر إلى تعميم وحيث يليق التعميم، فإنه بذلك يُثاب، وينتفع غيره بدعائه أيضًا وينتفع هو بدعاء الآخرين كذلك إذا عمموا في دعائهم، وتقوى أواصر المودة والمحبة والإخاء بين المؤمنين بدعاء بعضهم لبعض.

● والشخص يثاب إذا دعا لإخوانه بظهر الغيب، فمن دعا لأخيه بظهر الغيب فعند رأسه ملكٌ موكل يقول: آمين، ولك بمثل.

وهذه بعض الأدلة على مشروعية تعميم الدعاء واستحبابه.

● من ذلك قول أهل الإيمان: ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [الحشر: ١٠].

● وقول اللَّه تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿**وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ [محمد: ١٩].

● وقول نبي اللَّه نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿**رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا**﴾ [نوح: ٢٨].

● وكذلك قول الملائكة عليهم السلام: ﴿**رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [غافر: ٧، ٨].

● وقد كان الصحابة في تشهدهم في الصلاة يقولون: السلام على فلان وفلان، فعلمهم النبي ﷺ أن يقولوا: السلام علينا وعلى عباد اللَّه

الصالحين، وقال لهم: «**فإنكم إذا قلتم ذلك أصاب كل عبدٍ في السماء، أو بين السماء والأرض**»[1] .

● وفي البخاري[2] من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قام رسول اللَّه ﷺ في صلاةٍ وقمنا معه، فقال أعرابيٌ وهو في الصلاة: اللَّهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا، فلما سلَّم النبي ﷺ قال للأعرابي: «**لقد حجَّرت واسعًا**» يريد رحمة اللَّه.

● ولما خشي سعد بن أبي وقاص أن يموت بمكة لكونه قد هاجر منها، وكان قد مرض في حجة الوداع، فدعا له رسول اللَّه ﷺ وعمَّم في دعائه فقال: «**اللَّهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم**»[3] ، فَعَمَّم النبي ﷺ الدعوة لجميع أصحابه ولم يخص سعدًا، وإن كان التخصيص جائزًا في مواطن.

---

(١) وذلك في حديث ابن مسعود في صفة التشهد، وقد أخرجه البخاري (مع الفتح ٢/ ٣٢٠)، ومسلم (مع النووي (٤/ ١١٥).

(٢) البخاري (٦٠١٠)، ونقل الحافظ ابن حجر عن ابن بطال قوله: أنكر ﷺ على الأعرابي لكونه بخل برحمة اللَّه على خلقه.

(٣) أخرجه البخاري (حديث ١٢٩٥) من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: كان رسول اللَّه ﷺ يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت: إني قد بلغ بي من الوجع وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا. فقلت: بالشطر؟ فقال: لا. ثم قال: الثلث والثلث كبير - أو كثير - إنك أن تذر ورثتك أغنياء خيرٌ من أن تذرهم عالةً يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه اللَّه إلا أجرت بها، حتى ما تجعل في في امرأتك. فقلت: يا رسول اللَّه، أخلف بعد أصحابي؟ قال: إنك لن تخلف فتعمل عملاً صالحًا إلا ازددت به درجة ورفعة، ثم لعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون، اللَّهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم. لكن البائس سعد بن خولة يرثي له رسول اللَّه ﷺ أن مات بمكة.

وكان النبي ﷺ يدعو لبعض أصحابه المستضعفين بأسمائهم ومع ذلك يعمم دعوته لكل مستضعف، ففي «الصحيح» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[١] قال: وكان رسول اللَّه ﷺ ـ حين يرفع رأسه يقول: «**سمع اللَّه لمن حمده، ربنا ولك الحمد** ـ يدعو لرجال فيُسَمِّيهم بأسمائهم فيقول: ـ **اللَّهم أنج الوليد بن الوليد[٢] وسلمة بن هشام وعيَّاش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين، اللَّهم اشدد وطأتك على مُضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف، وأهل المشرق يومئذ من مضر مخالفون له**».

● وقد ورد ذم من أمَّ قومًا فخصَّ نفسه بالدعاء من دونهم، ويبدو أن هذا في الدعاء الجماعي فلا يشرع له أن يقول: اللَّهم ارزقني، وهم يقولون: آمين، بل يقول: اللَّهم ارزقنا.

وعليه فيستحب لك إذا دعوت اللَّه لمريض بالشفاء أن تعمم فتقول اشف فلانًا ومرضى المسلمين، ونحوه ارزقنا وارزق عبادك، وكذلك انصرنا وانصر المسلمين، وارحمنا وارحم موتانا وموتى المسلمين، وتقول: اللَّهم اكفني شر فلان وشر كل ظالم.

وإن كان الاقتصار في الدعاء للنفس جائزًا، بل ويستحب في مواطن إلا أن مواطن أُخر يستحب فيها التعميم، فالمواطن التي خص فيها رسول اللَّه ﷺ بدعائه يُستحب لنا أن نخص فيها، والتي عمم فيها دعاءه يستحب لنا أن نعمم فيها، وأما المسكوت عنه فبحسب الحال وما يستدعيه المقام، واللَّه تعالى أعلم.

---

(١) البخاري (حديث ٨٠٤).

(٢) فيه جواز ذكر الأشخاص بأسمائهم عند الدعاء لهم في الصلاة.

● وفي «الصحيحين»[1] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على اللَّه من عباده، السلام على فلان وفلان، فقال النبيُّ ﷺ: «**لا تقولوا: السلام على اللَّه؛ فإن اللَّه هو السلام، ولكن قولوا: التحيات للَّه والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة اللَّه وبركاته، السلام علينا وعلى عباد اللَّه الصالحين ـ فإنكم إذا قلتم أصاب كلَّ عبد في السماء أو بين السماء والأرض ـ أشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ثم يتخيَّر من الدُّعاء أعجبه إليه فيدعو**».

وفي هذا تعميم الدعاء كذلك.

* * *

(١) البخاري (مع الفتح ٢/ ٣٢٠)، ومسلم (٤/ ١١٥).

ذم من اقتصر في دعائه على أمور الدنيا

● وقد ذمَّ اللَّه سبحانه وتعالى من اقتصر في دعائه على أمور الدنيا، فقال سبحانه: ﴿ **فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ** ﴾ [البقرة: ٢٠٠]، وقال سبحانه: ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا** ﴾ [الإسراء: ١٨].

● وأثنى اللَّه سبحانه وتعالى على من جمع في دعائه بين طلب حسنة الدنيا وحسنة الآخرة معًا بقوله: ﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ [البقرة: ٢٠١، ٢٠٢].

● ولما قالت أم حبيبة[1] زوج النبي ﷺ: اللَّهم أمتعني بزوجي رسول اللَّه ﷺ وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية. فقال لها النبي ﷺ: «**قد سألت اللَّه لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يجعل شيئًا قبل حله أو يؤخر شيئًا عن حله، ولو كنت سألت اللَّه أن يعيذك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيرًا وأفضل**».

* * *

---

(١) مسلم (مع النووي ١٦/ ٢١٢).

اجتناب السجع المتكلف

• ومن الصور المكروهة في الدعاء السجع المتكلف المتعمد، ففي «صحيح البخاري»[1] من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: حدِّث الناس كلَّ جُمعة مرَّةً، فإن أبيت فمرَّتين، فإن أكثرتَ فثلاثَ مرات، ولا تُملَّ الناسَ هذا القرآن، ولا ألْفينَّك تأتي القومَ وهم في حديث من حديثهم فتَقصُّ عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتُملُّهم، ولكن أنصت فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه. فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه، فإني عهدتُ رسول اللَّه ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب.

ففي هذا ما يفيد كراهية التكلف للإتيان بسجع في الدعاء ويجعل الناس يهتمون بتلك النغمات في الأدعية فيذهب الخشوع.

أما إذا كان السجع غير متكلف فذلك جائز ولا حرج، وقد قال النبي ﷺ: **«اللَّهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، وعلم لا ينفع، ونفس لا تشبع، ودعاء لا يسمع..»**.

وقال عليه السلام: **«اللَّهم منزل الكتاب هازم الأحزاب سريع الحساب اهزمهم وزلزلهم»**، إلى غير ذلك.

* * *

(١) البخاري (مع الفتح ١١/١٣٨).

النهي عن الاعتداء في الدعاء وبيان صور الاعتداء

● قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

والاعتداء هنا: هو الاعتداء في الدعاء، فثمَّ قوم يعتدون في الدعاء.

● **ومن صور اعتدائهم في الدعاء**: سؤالهم ما لا يليق بهم، وما لا علم لهم به، وسؤالهم ما يخالف أمر اللَّه وأمر رسوله ﷺ، وفي «سنن أبي داود»، و«مسند الإمام أحمد»[1] بسند صحيح عن أبي نعامة: أن عبد اللَّه بن مغفل سمع ابنه يقول: اللَّهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها. فقال: يا بني سل اللّه تبارك وتعالى الجنة وعذ به من النار، فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**يكون قوم يعتدون في الدعاء والطهور**».

● **ومن صور الاعتداء في الدعاء**: أن يسأل الشخص ما لا يليق به، كمن يسأل ربه منازل الأنبياء وكمن يسأل ربه الوسيلة التي لا تنبغي إلا لعبد من عباد اللَّه يرجوها رسول اللَّه ﷺ لنفسه، وكمن يسأل أن يكون له الشفاعة العظمى يوم القيامة، أو يسأل ما لا يجوز له سؤاله من الإعانة على المحرمات، كمن يسأل ربه أن ييسر له أمر السرقة وأمر الزنا وأمر الرشوة، أو يسأل ربه أن يفرق بين المسلمين، أو يسأل ربه أن يُخلد أبد الدهر أو يسأل ربه أن يغنيه عن الطعام والشراب طول حياته، فنحو هذه الأدعية مما يناقض حكمة اللَّه ويخالف أمره ويضاد ما شرعه فكل ذلك اعتداء في الدعاء، وقد قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

(١) أحمد في «المسند» (٥/ ٥٥)، وأبو داود (٢/ ١٦٢)، وابن ماجه (٣٨٦٤) وغيرهم.

فدعاء الرب بما يخالف ما أمر به يعد اعتداءً في الدعاء.

والأمور التي علمنا من كتاب ربنا عز وجل ومن سنة نبينا ﷺ أن اللَّه قد قضى فيها قضاءً، ليس لنا أن ندعو فيها بخلاف ما قضى فيها ربنا عز وجل.

• فليس لأحد أن يدعو للشيطان بالهداية والرحمة بعد أن ظهر قضاء اللَّه فيه.

• وإبراهيم عليه السلام تبرأ من أبيه لما علم أنه عدو للَّه ولم يكن له أن يدعو له بالمغفرة.

• ونبينا ﷺ قال لعمه: «**لأستغفرن لك ما لم أنه عنك**» ثم قال تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾ [التوبة: ١١٣].

• والشهداء لما سألوا ربهم الرجوع إلى الدنيا لم يجب لهم هذا الطلب.

• وليس لأحد أن يسأل لنفسه النبوة بعد أن قال اللَّه تعالى: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ [الأحزاب: ٤٠].

• **ومن صور الاعتداء في الدعاء**( ): رفع الصوت[1] به رفعًا زائدًا، ففي «الصحيحين» من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فكنا إذا علونا كبرنا، فقال النبي ﷺ: «**يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا ولكن تدعون سميعًا بصيرًا**» ثم أتى

( ) وقد فسر الاعتداء في الدعاء بالصياح في الدعاء أيضًا.

(١) وقد ورد أن رسول اللَّه ﷺ دعا بصوت سمعه أصحابه في بعض المواطن ـ لكن ليس بتلك الصورة المرتفعة التي تشبه الصياح فقد دعا يوم بدر وسمعه أصحابه، ودعا في =

عليَّ وأنا أقول في نفسي: لا حول ولا قوة إلا باللَّه، فقال: «**يا عبد اللَّه بن قيس، قل: لا حول ولا قوة إلا باللَّه فإنها كنز من كنوز الجنة**» أو قال: «**ألا أدلك على كلمة هي كنز من كنوز الجنة؟! لا حول ولا قوة إلا باللَّه**».

وقد قال تعالى كما تقدم: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقال سبحانه: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾ [الأنبياء: ٩٠].

قال ابن القيم ـ رحمه اللَّه ـ[1] بعد أن ذكر حديث «سيكون قوم يعتدون في الطهور والدعاء»:

وعلى هذا فالاعتداء في الدعاء تارة بأن يسأل ما لا يجوز له سؤاله من الإعانة على المحرمات، وتارة بأن يسأل ما لا يفعله اللَّه، مثل أن يسأله تخليده إلى يوم القيامة، أو يسأله أن يرفع عنه لوازم البشرية من الحاجة إلى الطعام والشراب أو يسأله أن يطلعه على غيبه، أو يسأله أن يجعله من المعصومين، أو يسأله أن يهب له ولدًا من غير زوجة ولا أمة، ونحو ذلك مما سؤاله اعتداء. فكل سؤال يناقض حكمة اللَّه أو يتضمن مناقضة شرعه وأمره، أو يتضمن خلاف ما أخبر به فهو اعتداء لا يحبه اللَّه ولا يحبه رسوله.

= الاستسقاء وسمعه أصحابه، ودعا لأخ لأبي موسى الأشعري وسمعه أصحابه، و.. فيقال إن لرفع الصوت بالدعاء والذكر مواطن يفعل فيها وهي الواردة عن رسول اللَّه ﷺ، وما سوى ذلك فالأصل في الدعاء والذكر الخفية للآية: ﴿ادعو ربكم تضرعًا وخفية..﴾ وهذا من المسائل التي سنستفيض فيها إن شاء اللَّه في كتابنا الكبير فقه الدعاء يسر اللَّه إتمامه.

(١) «التفسير القيم»

وفسر الاعتداء برفع الصوت في الدعاء. قال ابن جريج: من الاعتداء رفع الصوت في الدعاء، والنداء في الدعاء والصياح.

وبعد فالآية أعم من ذلك كله، وإن كان الاعتداء في الدعاء مرادًا بها فهو من جملة المراد، **والله لا يحب** المعتدين في كل شيء، دعاء كان أو غيره، كما قال: ﴿**وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [البقرة: ١٩٠].

وعلى هذا فيكون قد أمر بدعائه وعبادته وأخبر أنه لا يحب أهل العدوان، وهم الذين **يدعون معه غيره، فـ**هؤلاء أعظم المعتدين عدوانًا. فإن أعظم العدوان هو **الشرك،** وهو وضع العبادة في غير موضعها، فهذا العدوان لا بد أن يكون داخلاً في قوله: ﴿**إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٥].

ومن العدوان: أن يدعوه دعاء غير متضرع، بل دعاء مُدِلٍّ كالمستغني بما عنده المدل على ربه به، وهذا من أعظم الاعتداء المنافي لدعاء الضارع الذليل الفقير المسكين من كل جهة في مجموع حالاته، فمن لم يسأل مسألة مسكين متضرع خائف فهو معتدٍ.

ومن الاعتداء: أن تعبده بما لم يشرعه، وتثني عليه بما لم يثن به على نفسه ولا أذن فيه. فإن هذا اعتداء في دعاء الثناء والعبادة، وهو نظير الاعتداء في دعاء المسألة والطلب.

- وعلى هذا فتكون الآية دالة على شيئين:

أحدهما: محبوب للرب تبارك وتعالى مرضي له، وهو الدعاء تضرعًا وخفية.

والثاني: مكروه له مبغوض مسخوط، وهو الاعتداء، فأمر بما يحبه الله وندب إليه وحذر مما يبغضه وزجر عنه بما هو أبلغ طرق الزجر والتحذير.

وهو أنه لا يحب فاعله، ومن لم يحبه اللَّه فأي خير يناله؟ وفي قوله: ﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ عقب قوله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥] دليل على أن من لم يدعه تضرعًا وخفية فهـو من المعتدين الذين لا يحبهم. فقسمت الآية الناس إلى قسمين: داع للَّه تضرعًا وخفية، ومعتد بترك ذلك.

* * *

ولا تسأل مزيدًا من التكاليف والابتلاءات:

فقد تبـتلى ولا تتحمل، وقد تكلف ولا تفي، وهنـاك عدد من النصوص تدل على هذا المعنى، فورد منها ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾.
- وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.
- وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾.

ومن ذلك قول النبي ﷺ: «لا تمنَّوا لقاء العدو»[1].

- وقوله عليـه الصلاة والسلام: «يا عبد الرحمن بن سـمرة، لا تسأل الإمارة فإن أعطيتها عن مسألة وُكِلتَ إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها»[2].

(١) أخرجه البخاري (حديث ٣٠٢٥)، ومسلم (حديث ١٧٤١).
(٢) أخرجه البخاري (٧١٤٧)، ومسلم (حديث ١٦٥٢).

الدعاء باللعن

ابتداءً فينبــغي أن يتقى لعن الأشخاص المعينين، وينبــغي أن يحفظ اللسان ولا يستطرد في اللعن، **فإن الإكثار** في اللعن سببٌ لدخول النار.

• ففي «**الصــحيح**»[1] من حديث عبد اللَّه بــن عمر ﵄ عن رسول اللَّه ﷺ أنه قــال: «**يا معشر النســاء تصدَّقْن وأكثرن الاستغفــار فإني رأيتكن أكثر أهــل النــار» فقالت امرأة منهن جَزْلَةٌ**: ومــا لنا يا رسول اللَّه أكثر أهل النار؟! قال: «**تُكثرن اللعن وتكفرن العشير..**» الحديث.

فــبين النبي ﷺ **أول ما** بين مــن أسبــاب دخولهن الــنار كونهن يكثــرن اللعن.

• وفي «صــحيح مــسلم»[2] من حــديث أبي الدرداء ﵁ أن رســول اللَّه ﷺ قال: «**لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة**».

• وفي «صحيح مسلم»[3] كذلك من حديث عمران بن حصين ﵁ قال: بينمــا رسول اللَّه ﷺ في بعض أســفاره، وامــرأة من الأنصار على نــاقة. فَضَجِــرَت فلعنتها. فسمع ذلك رســول اللَّه ﷺ فقال: «خذوا مــا عليــها

(١) مسلم (حديث ٧٩).

(٢) مــسلم (حديث ٢٥٩٨) من طــريق زيد بن أسلم أن عبــد الملك بن مــروان بعث إلى أم الدرداء بأنجــاد( ) من عنده. فلما أن كانت ذات ليلة، قام عــبد الملك من الليل، فدعا خادمــه، فكأنه أبطأ عليه فلعنه، فلما أصــبح قالت له أم الدرداء: سمــعتك الليلة لعنت خادمك حين دعــوته، فقالت: ســمعت أبا الدرداء يقول: قــال رسول اللَّه ﷺ: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة».

(٣) مسلم (حديث ٢٥٩٥).

( ) **الأنجاد هو متاع البيت الذي يزينه من فرش ونمارق وستور.**

ودعوها، فإنَّها ملعونة». قال عمران: فكأنِّي أراها الآن تمشي في الناس ما يعرضُ لها أحد.

● وعند مسلم[١] أيضًا من حديث أبي برزة الأسلمي قال: بينما جارية على ناقة، عليها بعض متاعِ القوم إذ بصرت بالنبي ﷺ وتضايق بهم الجبل، فقالت: حَلْ(*) اللَّهم العنها. قال: فقال النبي ﷺ : **«لا تصاحبنا ناقة عليها لعنةٌ»**.

● وفي رواية لمسلم: **«لا ايمُ اللَّه لا تصاحبنا راحلةٌ عليها لعنة من اللَّه»**.

● وفي «صحيح مسلم»[٢] كذلك من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«لا ينبغي لصدِّيق أن يكون لعانًا»**.

● وفي «صحيح مسلم»[٣] من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قيل: يا رسول اللَّه، ادع على المشركين[٤] قال: **«إني لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمةً»**.

● وقد أخرج البخاري[٥] من حديث ابن عمر ﷺ أنه سمع رسول اللَّه ﷺ إذا رفع رأسه من الرُّكوع من الركعة الآخرة من الفجر يقول: «اللَّهم العن فلانًا وفلانًا وفلانًا، بعدما يقول: سمع اللَّه لمن حمده ربنا ولك الحمد، فأنزل اللَّه: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ إلى قوله: ﴿**فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ**﴾.

● وعند البخاري[٦] أيضًا من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ

---

(١) مسلم (حديث ٢٥٩٦).

(*) حل: كلمة زجر للإبل.

(٢) مسلم (حديث ٢٥٩٧).

(٣) مسلم (حديث ٢٥٩٩).

(٤) سيأتي بحث في الدعاء على المشركين إن شاء اللَّه.

(٥) البخاري (حديث٤٠٦٩).

(٦) البخاري (حديث ٤٥٦٠)، وانظر ما ذكره الحافظ ابن حجر - رحمه اللَّه تعالى - (الفتح٨/ ٢٢٧ ط. دار المعرفة)، ومسلم (حديث ٦٧٥)، وعند مسلم: ثم بلغنا أنه ترك =

كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قَنَتَ بعد الركوع فربَّما قال إذا سمع اللَّه لمن حمده ربنا لك الحمد: «**اللَّهم أنج الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة، اللَّهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها سنين كسني يوسف**»، يجهر بذلك. وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر: اللَّهم العن فلانًا وفلانًا - لأحياء من العرب - حتى أنزل اللَّه: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ الآية [آل عمران: ١٢٨].

وهذا مزيد تفصيل في مسألة اللعن:

فنورد ما يتعلق بلعن الكفار جملة ثم ما ورد في لعن الكافر المعين، ثم ما ورد في لعن العصاة مطلقًا ثم ما ورد في لعن العاصي المُعين، فنقول وباللَّه التوفيق:

- أما الكفار جملة فيجوز لعنهم، وقد دلَّت على ذلك عدة أدلة، فمنها:

قول اللَّه تعالى: ﴿**فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة: ٨٩].

وقوله تعالى: ﴿**أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ [هود: ١٨].

وقوله تعالى في شأن قوم فرعون: ﴿**وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً**﴾ [هود: ٩٩].

قوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيراً**﴾ [الأحزاب: ٦٨].

والآيات في هذا الباب كثيرة جدًا.

- أما الكافر المعين ففي لعنه خلاف، فمن العلماء من منع من لعنه محتجًا بالعمومات التي ذكرناها من قبل في كراهية اللعن واحتجوا أيضًا بقوله

= ذلك لما أنزل: ﴿ليس لك من الأمر شيءٌ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾.
قلت: وهذا بلاغ في حديث أبي هريرة ﵁.

تعـــالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة:١٦١]، فقال هذا الفـريق إننا لا ندري بم يُختم لهذا الكافر، واللعنة إنما تكون للكافر الذي مات على الكفر والعياذ باللَّه.

واحتج لهم أيضًا بأن النبي لما لعن أقوامًا بأعيانهم نزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

● **ومن العلماء من جـوَّز لعن الكافر المعين** محتـجًا بأن النبي ﷺ لعن الحكم ومـا ولد(١) ، واحتج أيضًا بما أخـرجه مسلم(٢) في «صحيـحه» من حديـث عائشـة ﵂ قالت: دخل على رسـول اللَّه ﷺ رجلان فكلـماه بشيء لا أدري ما هو فأغضباه فلعنهما وسبهما.

● **قال القاضي ابن العربي ـ رحمه اللَّه (أحكام القرآن ١/٥٠):**

والصحيح عندي جواز لعنه لظاهر حاله كجواز قتاله وقتله.

قال: وقد رُوي أنه ﷺ قال: «**اللَّهم إنَّ عمرو بن العاص هجاني قد علم أني لست بشاعر فالعنه، اللَّهم واهجـه عدد ما هجاني**»(٣) ، فلعنه وقـد كان إلى الإسلام والدين والإيمان مآلُه، وانـتصف بقوله: (**عـدد ما هجـاني**) ولم يـزد ليعلم الـعدل والإنصاف والانتـصاف، وأضـاف الهجو إلى البـاري سبـحانه

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/٥) بسند صحيح، وله طرق أوردها شيخنا مقبل بن هادي الوادعي ـ حفظه اللَّه ـ في كتابه «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (٥/٢٥٧).
(٢) مسلم (حديث ٢٦٠٠).
(٣) أشار الحافظ ابن كثير ـ رحمه الـلَّه تعالى ـ إلى ضعف هذا الحديث بقوله: وقالت طائفة أخرى: بل يجـوز لعن الكافر المعين، واختـاره الفقـيه أبو بكر بن العـربي المالكي ولكنه احتج فيه بحديث فيه ضعف.
قلت: وفي إسناده عيسى بن عـبد الرحمن بن فروة، وهو ضعـيف جدًا انظر: «الميزان» حديث (٦٥٨٣) وقد حكم عليه الذهبي هناك بإنكاره.

وتعالى في باب الجزاء دون الابتداء بالوصف له بذلك، كما يضاف إليه الاستهزاء والمكر والكيد، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

قلت: واستدل بعض أهل العلم على جواز لعن الكافر بأن النبي ﷺ لما أُتي بشارب خمر ليحده قال بعض الصحابة في شأن هذا الشارب: (لعنك اللَّه ما أكثر ما يؤتى بك!) فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تلعنوه فإنه يحب اللَّه ورسوله**»[1] ، قالوا: فدل على أن من لا يحب اللَّه ورسوله يُلعن واللَّه تعالى أعلم.

● **أما العصاة جملة فيجوز لعنهم؛ لقوله عليه الصلاة والسلام:**

«**لعن اللَّه السارق يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده**»[2] .

وقوله عليه السلام: «**لعن اللَّه آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه**»[3] ، إلى غير ذلك من الأحاديث في هذا الباب.

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٦٧٨٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد اللَّه، وكان يُلقب حمارًا وكان يضحك رسول اللَّه ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشراب(*) فأتي به يومًا فأمر به فجلد فقال رجل من القوم: اللَّهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه، فواللَّه ما علمت(**) أنه يحب اللَّه ورسوله».

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٧٨٣) ومسلم (حديث ١٦٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) أخرج البخاري من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه (حديث ٥٩٦٢) أن النبي ﷺ لعن آكل الربا وموكله. وأخرج مسلم (حديث ١٥٩٨) من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما قال: لعن رسول اللَّه ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء.

(*) يعني: شراب الخمر.

(**) ما علمت معناها: لقد علمت، أو ما علمت عليه إلا أنه يحب اللَّه ورسوله. وثمَّ أقوال أخر تدور حول هذا المعنى، واللَّه تعالى أعلم.

وقد قال القاضي أبو بكر بن العربي - رحمه اللَّه - «أحكام القرآن»: وأما لعن العاصي مطلقًا فيجوز إجماعًا.

● **وأما العاصي المعين**، فقد قال ابن العربي - رحمه اللَّه: فأما العاصي المعين فلا يجوز لعنه اتفاقًا لما روي أن النبي ﷺ جيء به بشارب خمر مرارًا فقال بعض من حضره: ما له لعنه اللَّه ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي ﷺ: «**لا تكونوا أعوانًا للشيطان على أخيكم**»[1]، فجعل له حرمة الأخوة، وهذا يوجب الشفقة، وهذا حديث صحيح.

قلت: واستدل بعض أهل العلم على المنع كذلك بحديث: «**لعن المؤمن كقتله**»[2].

وقد يستدل البعض على جواز لعن العاصي المعين بحديث: «**أيما رجل دعا امرأته إلى فراشه فأبت لعنتها الملائكة حتى تصبح**»[3]، ولكن هذا عندي في غير المعين أيضًا، وعلى كل حال فينبغي للمسلم أن يحترز من الإكثار من

---

(١) أخرج البخاري (حديث ٦٧٨١) من حديث أبي هريرة ؓ قال: أُتي النبي ﷺ بسكران فأمر بضربه، فمنَّا من يضربه بيده، ومنا من يضربه بنعله، ومنا من يضربه بثوبه، فلما انصرف قال رجل: ما له أخزاه اللَّه تعالى. فقال رسول اللَّه ﷺ: «لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم».

(٢) أخرج البخاري (٦٠٤٧)، ومسلم(حديث ١١٠ ص١٠٤) من حديث ثابت بن الضحاك - وكان من أصحاب الشجرة - ؓ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «من حلف على ملةٍ غير الإسلام كاذبًا فهو كما قال، وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك، ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذِّب به يوم القيامة، ومن لعن مؤمنًا فهو كقتله، ومن قذف مؤمنًا بكفرٍ فهو كقتله».

(٣) أخرج البخاري (حديث ٥١٩٤)، ومسلم (حديث ١٤٣٦) من حديث أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: «إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح». =

اللعن وخاصة ما يتعلق بلعن المسلمين، وذلك لقول النبي ﷺ : «**لا ينبغي لصديق أن يكون لعانًا**»[١] ، والحديث: «**إن اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة**»[٢] ، والحديث: «**لعن المؤمن كقتله**» واللَّه أعلم.

قال النووي ـ رحمه اللَّه ـ في «الأذكار»:

فصل: اعلم أن لعن المسلم المصون حرامٌ بإجماع المسلمين، ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة كقولك: لعن اللَّه الظالمين، لعن اللَّه الكافرين، لعن اللَّه اليهود والنصارى، ولعن اللَّه الفاسقين، لعن اللَّه المصورين، ونحو ذلك مما تقدم في الفصل السابق.

وأما لعن الإنسان بعينه ممن اتصف بشيء من المعاصي؛ كيهودي أو نصراني أو ظالم أو زانٍ أو مصورٍ أو سارقٍ أو آكل ربًا، فظواهرُ الأحاديث أنه ليس بحرام، وأشار الغزالي إلى تحريمه إلا في حق من علمنا أنه مات على الكفر كأبي لهب وأبي جهل، وفرعون، وهامان وأشباههم، قال: لأن اللعن هو الإبعاد عن رحمة اللَّه تعالى، وما ندري ما يُختم به لهذا الفاسق أو الكافر، قال: وأما الذين لعنهم رسول اللَّه ﷺ بأعيانهم فيجوز أنه ﷺ علم موتهم على الكفر. قال: ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر حتى الدعاء على الظالم؛ كقول الإنسان: لا أصحَّ اللَّه جسمه، ولا سلَّمه اللَّه، وما جرى مجراه وكلُّ ذلك مذمومٌ، وكذلك لعن جميع الحيوانات

= • وفي رواية في «الصحيحين» كذلك: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح».

(١) أخرجه مسلم (حديث ٢٥٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٨) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعًا.

والجماد فكلُّه مذموم.

فصل: حكى أبو جعفر النحاس عن بعض العلماء أنه قال: إذا لعن الإنسان ما لا يستحق اللعن فليبادر بقوله: إلا أن يكون لا يستحق.

أما ما ورد عن رسول اللَّه ﷺ من لعن لبعض المسلمين المعينين فقد ورد عنه صلوات اللَّه وسلامه عليه أنه قال: **«اللَّهم إنما أنا بشرٌ فأيما رجلٍ من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة ورحمة»**[1] .

● وقد أورد الإمام مسلم في «صحيحه» عدة أحاديث بهذا المعنى.

● فعند مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها[2] قالت: دخل على رسول اللَّه ﷺ رجلان. فكلماه بشيء لا أدري ما هو. فأغضباه، فلعنهما وسبَّهما. فلما خرجا قلت: يا رسول اللَّه! من أصاب من الخير شيئًا ما أصابه هذان. قال: «**وما ذاك؟**» قالت: قلت: لعنتهما وسببتهما. قال: «**أو ما علمت ما شارطت عليه ربي؟ قلتُ: اللَّهمَّ إنما أنا بشر. فأي المسلمين لعنتُهُ أو سببتُهُ فاجعله له زكاةً وأجرًا**».

● وعنده أيضًا من حديث جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما[3] سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إنما أنا بشر، وإنِّي اشترطت عل ربي عز وجل، أيُّ عبد من المسلمين سببته أو شتمته، أن يكون ذلك له زكاة وأجرًا**».

قلت: وأخرج[4] أيضًا من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت عند أم

---

(١) صحيح، وقد تقدم، وبهذا اللفظ عن مسلم (٢٦٠١)، وانظر البخاري (٦٣٦١).
(٢) مسلم (حديث ٢٦٠٠).
(٣) مسلم (٢٦٠٢).
(٤) مسلم (حديث ٢٦٠٣).

سليم يتيمة، وهي أمُّ أنس[1] . فرأى رسول اللَّه ﷺ اليتيمة فقال: «**آنت هيَهْ؟ لقد كَبِـرْتِ، لا كَبِرَ سنّك**» فرجعت اليتيمة إلى أم سليم تبكي، فقالت أم سليم: مـا لك يا بُنية؟ قالت الجـارية: دعا عليَّ نبي اللَّـه ﷺ أن لا يكبر سنِّي. فالآن لا يكبر سني أبدًا. أو قالت قرني، فـخرجت أم سليم مستعجلة تلوثُ خمارها. حـتى لقيت رسول اللَّه ﷺ فقـال لها رسول اللَّه ﷺ: «**ما لك يا أم سليم؟!**» فقالت: يا نبي اللَّه، أدعوتَ على يتيمتي؟ قال: «**وما ذاك يا أم سلـيم؟**» قالت: زعمت أنك دعوت ألا يكبر سـنُّها ولا يكبر قرنها، قال: فضـحك رسول اللَّه ﷺ ثم قال: «**يا أم سليم، أما تـعلمين أن شرطي على ربي، أني اشـترطت على ربي فـقلت: إنما أنا بشرٌ أرضى كـما يرضى البـشر، وأغضب كما يغضب البشر. فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل، أن يجعلها له طهورًا وزكاة وقربة يقرِّبه بها منه يوم القيامة**».

● وأخرج مسلم[2] في «صحيحه»، عن عوف بن مالك، عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم. ويصلون عليكم وتصلون عليـهم، وشرار أئمـتكم الذين تبـغضـونهم ويُبغـضونكم وتلعـنونهم ويلعنونكم**» قيل: يا رسول اللَّه أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: «**لا، ما أقامـوا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئًا تكرهونه، فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يدًا من طاعة**».

● **أما ما ورد في آيات الملاعنة فهـذه صورة خاصة**، وكذلك ما ورد في المباهلة في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾ [آل عمران: ٦١].

* * *

(١) يعني بأم أنس: أم سليم ﵂.
(٢) مسلم حديث (١٨٥٥).

النهي عن الدعاء على النفس والأولاد والخدم والمال

● ومن صور الجهل في الدعاء: الدعاء على النفس والأهل والمال والولد، وهذا يكثر في النساء نـاقصات العقل والدين، فلأتفـه سببٍ تدعو المرأة على نفسهـا وولدها وأهل بيتها، ولا تتصور هذه المرأة أن دعـوتها على ولدها قد تستجاب فيُصاب الولد بمرضٍ ترهق معه أمه غاية الإرهاق وتدور به على هذا الطبيب وذاك، وهي المتسببة لولدها في هذا المرض والداء بدعائها عليه.

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم؛ لا توافقوا من اللَّه تبارك وتعالى ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم**»[١] .

● وقـال النبي ﷺ: «**لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون**»[٢] .

ولا تدع بإثمٍ ولا بقطيعة رحم:

● أخرج الإمام مسلم في «صـحيحه»[٣] من حـديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يزال يستجاب للعبـد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل**...الحديث، وقد تقدم.

(١) صحيح، وقد تقدم تخريجه.

(٢) وذلك في الحديث الذي أخـرجه مسلم (مع النووي ٦/ ٢٢٢) من حـديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل رسـول اللَّه ﷺ على أبي سلمة وقد شُقَّ بصـره فأغمضـه ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»، فـضج الناس من أهله، فقال: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون».

(٣) مسلم (مع النووي ١٧/ ٥٢).

النهي عن تمني تعجيل العقوبة في الدنيا وعن الدعاء على النفس بذلك

● حيث إن هذا فعل الكفار، ثم هو نوعٌ من تمني البلاء، قال تعالى في شأن الكفار: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦].

● وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

● وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

فتمني تعجيل العقوبة فعل الكفار كما سلف، ثم هو فعل من كلَّ علمهم، وأيضًا فهو خلاف هدي النبي ﷺ.

● ففي «صحيح مسلم»[١] من حديث أنس ﷺ، أن رسول اللَّه ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ، فقال له رسول اللَّه ﷺ: «**هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه؟**» قال: نعم، كنت أقول: اللَّهم إن كنت معاقبي به في الآخرة فعجِّله لي في الدنيا، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**سبحان اللَّه، لا تطيقه ـ أو لا تستطيعه ـ أفلا قلت: اللَّهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**» قال: فدعا اللَّه له، فشفاه.

● وفي «الصحيحين»[٢] من حديث أنس ﷺ، واللفظ لمسلم من طريق عبد العزيز ـ وهو ابن صهيب، سأل قتادة أنسًا: أيُّ دعوة كان يدعو بها النبي ﷺ أكثر؟ قال: كان أكثر دعوة يدعو بها يقول: «**اللَّهم آتنا في الدنيا حسنة**

---

(١) مسلم (مع النووي ١٧/ ١٣).

(٢) البخاري (حديث ٦٣٨٩) ومسلم (حديث ٢٦٩٠).

وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

قال: وكان أنسٌ إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها، فإذا أراد أن يدعو بدعاء، دعا بها فيه.

• ومن صور الجهل ذلك الدعاء بما يجلب على النفس المشقة والتعب كقول قوم سبأ: ﴿**رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا**﴾ [سبأ:١٩].

وذلك أن اللَّه سبحانه وتعالى كان قد جعل لهم أماكن إيواء ومنازل ينزلونها واستراحات يستريحون فيها إذا أرادوا السفر إلى الأرض المباركة، فكلما شعروا بتعب في سفرهم وجدوا مكانًا للراحة يستريحون فيه، ويستجمون كما قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً**﴾ [سبأ:١٨]، وقد قدر اللَّه هذه المسافات تقديرًا مناسبًا لمصالحهم ومصالح دوابهم حيث لا يجدون التعب إلا وجدوا مكانًا للراحة، كما قال: ﴿**وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ**﴾، ولكنهم أرادوا تعبًا ومشقة، وإرهاقًا، أرادوا أن تطول مسافات سفرهم ويحملوا الزاد ويوقدوا النيران في الأسفار ويجمعوا الحطب حتى يشعروا بلذة السفر كما زعموا فدعوا ربهم بقولهم: ﴿**رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا**﴾ وظلموا أنفسهم بهذا الدعاء كما قال تعالى: ﴿**وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ**﴾ فشتت اللَّه شملهم وفرق اللَّه جمعهم، وجعلهم أحاديث يتحدث الناس بهم، ويعتبر بهم المعتبرون كما قال تعالى: ﴿**فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾ [سبأ:١٩].

* * *

النهي عن تمني الموت

ومن صور الجهل في الدعاء سرعة تمني الموت لضرٍ في البدن أو ابتلاء في المال، وذلك لما في «الصحيحين»[١] من حديث أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍّ نزل به، فإن كان لا بد متمنيًا للموت فليقل: اللَّهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي»**.

● وفي «الصحيحين» كذلك من طريق قيس قال: أتيت خبابًا وقد اكتوى سبعًا في بطنه فسمعته يقول: لولا أن النبي ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به[٢].

● وعند البخاري[٣] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«...ولا يتمنين أحدكم الموت، إمَّا محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا وإما مُسيئًا فلعله أن يستعتب»**.

● وفي رواية لمسلم[٤] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا يتمنى أحدكم الموت، ولا يدعو به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرًا»**.

* * *

---

(١) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٥٠)، ومسلم (مع النووي ١٧/ ٧).
(٢) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٥٠)، ومسلم (مع النووي ١٧/ ٨).
(٣) البخاري (حديث ٥٦٧٣).
(٤) مسلم (حديث ٢٦٨٢).

ومتى يجوز للشخص أن يتمنى الموت

● **أما إذا خشي المسلم الفتنة في دينه فله أن يتمنى الموت:**

وعلى ذلك من الأدلة ما يلي:

● قول مريم عليها السلام لما علمت أن الناس سيقذفونها بالفاحشة لكونها لم تكن ذات زوج وقد حملت ووضعت: ﴿**يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا**﴾ [مريم: ٢٣].

● وكذلك قول سحرة فرعون لما قال لهم فرعون: ﴿**لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [الأعراف: ١٢٤] فقالوا: ﴿**إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ**﴾ [الأعراف: ١٢٥، ١٢٦].

● وقد قال النبي ﷺ في مرض موته: «**اللَّهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى**»[١] .

● وأخرج الإمام أحمد بإسنادٍ صحيح من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قالك «... **وإذا أردت فتنة في قومٍ فتوفني غير مفتون**»[٢] .

● وأخرج أحمد أيضًا بسندٍ صحيح عن محمود بن لبيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**اثنتان يكرههما ابن آدم: الموت، والموت خير للمؤمن من الفتنة، ويكره قلة المال، وقلة المال أقل للحساب**»[٣].

---

(١) البخاري (حديث ٥٦٧٤)، ومسلم (حديث ٢٤٤٤).

(٢) أحمد في «المسند» (٥/ ٢٤٣).

(٣) أحمد (٥/ ٤٢٧).

● وقال نبي اللَّه يوسف الصديق عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

صح عن قتادة[١] أنه قال: لما جمع شمله وأقرَّ عينه وهو يومئذ مغموس في نعيم الدنيا وملكها ونضارتها فاشتاق إلى الصالحين قبله.

● وأخرج مالك في «الموطأ»[٢] بسندٍ صحيح إلى سعيد بن المسيب قال: لما صدر عمر بن الخطاب من منى أناخ بالأبطح ثم كوم كومة بطحاء ثم طرح عليها رداءه واستلقى ثم مد يديه إلى السماء فقال: اللَّهم كبرت سني وضعفت قوتي وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط ثم قدم المدينة فخطب الناس فقال: أيها الناس قد سنت لكم السنن وفرضت لكم الفرائض، وتركتم على الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يمينًا وشمالاً، وضرب بإحدى يديه على الأخرى، ثم قال: إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم أن يقول قائل لا نجد حدين في كتاب اللَّه، فقد رجم رسول اللَّه ورجمنا، والذي نفسي بيده، لولا أن يقول الناس زاد عمر بن الخطاب في كتاب اللَّه لكتبتها (الشيخ والشيخة فارجموهما البتة) فإنا قد قرأناها.

قال مالك: قال يحيى بن سعيد: قال سعيد بن المسيب: فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل عمر ـ رحمه اللَّه.

* * *

(١) عند الطبري (١٣/٤٨)، وإسناده حسن.

(٢) مالك في «الموطأ» (ص ٨٢٤)، وفي سماع سعيد من عمر خلاف.

استحباب طلب الدعاء من أهل الفضل[١]

ويستحب للشخص أن يطلب من أهل الفضل أن يدعوا له وعلى ذلك جملة من الأدلة، فمن ذلك ما يلي:

• قول عمر ﷺ لأويس: استغفر لي يا أُويس، وذلك فيما أخرجه مسلم[٢] في «صحيحه» من حديث أُسير بن جابر قال: كان عُمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن، سألهم: أفيكم أُويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس. فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مراد ثم من قَرَن؟ قال: نعم، قال: فكان بك برصٌ فبرأتَ منه إلا موضع درهَم؟ قال: نعم. قال: لك والدة؟ قال: نعم. قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**يأتي عليكم أُويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد، ثم من قرن، كان به برصٌ فبرأ منه إلا موضع درهم. له والدةٌ هو بها برٌّ، لو أقسم على اللَّه لأبره. فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**» فاستغفر لي، فاستغفر له. فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة. قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحبُّ إليَّ.

قال: فلما كان من العام المقبل حجَّ رجلٌ من أشرافهم. فوافق عمر. فسأله عن أويس. قال: تركته رثَّ البيت قليل المتاع، قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه، إلا موضع درهم. له والدة هو بها برٌّ لو أقسم على**

(١) بوَّب النووي في كتابه «الأذكار» بهذا الباب، وأردفه بقوله: وإن كان الطالب أفضل من المطلوب منه وقال: اعلم أن الأحاديث في هذا الباب أكثر من أن تُحصر، وهو مجمع عليه.

(٢) مسلم (ص١٩٦٩).

اللَّه لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل» فأتى أويسًا فقال: استغفر لي، قال: أنت أحدثُ عهدًا بسفر صالحٍ. فاستغفر لي. قال: استغفر لي. قال: أنت أحدث عهدًا بسفر صالح فاستغفر لي. قال: لقيت عمرَ؟ قال: نعم. فاستغفر له، ففطن له الناس، فانطلق على وجهه. قال: أُسَيرٌ: وكسوته بُرْدةً. فكان كلما رآه إنسان قال: من أين لأويس هذه البردة؟

● وقول أم الدرداء ﵂ لزوج ابنتها صفوان بن عبد اللَّه بن صفوان: «ادع لنا بخير»، ففي «صحيح مسلم»[1] من حديث صفوان، وكانت تحته الدرداء قال: قدمت الشام. فأتيت أبا الدرداء في منزله فلم أجده، ووجدت أم الدرداء فقالت: أتريد الحج العام؟ فقلت: نعم، قالت: فادع اللَّه لنا بخير. فإن النبي ﷺ كان يقول: **«دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابةٌ، عند رأسه ملك موكَّلٌ كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل»**.

● وكذلك فقد قال الجبار لسارة عليها السلام: **«ادعي اللَّه لي ولا أضرك»**[2]

---

(١) مسلم (حديث ٢٧٣٣).

(٢) وذلك فيما أخرجه البخاري (٢٢١٧)، ومسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة ﵁. (والسياق لمسلم) أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام، قطُّ إلا ثلاث كَذَبَات. ثنتين في ذات اللَّه قولُهُ: «إنِّي سقيم. وقولُه: بل فعله كبيرهم هذا. وواحدةً في شأنِ سارَةَ، فإنَّه قدم أرض جبَّار ومعه سارةُ، وكانت أحسن الناس، فقال لها: إن هذا الجبار، إن يعلم أنك امرأتي، يغلبني عليك، فإنْ سألك فأخبريه أنَّك أختي، فإنك أُختي في الإسلام فإني لا أعلمُ في الأرض مسلمًا غيري وغيرك، فلما دخل أرضه رآها بعضُ أهل الجبَّار. أتاهُ فقال له: لقد قدِمَ أرْضَكَ امرأةٌ لا ينبغي لها أن تكون إلا لك، فأرسل إليها فأُتيَ بها، فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة، فلما دخلتْ عليه لم يتمالَكْ أنْ بسَطَ يَدَهُ إليها، فَقُبِضَتْ يدُهُ قبْضةً شديدة، فقال لها: ادعي اللَّه أنْ يطلق يدي ولا أضُرُّكِ، ففعلتْ، فعاد، فقُبِضَتْ أشَدَّ من القبضة الأولى، فقال لها مثل ذلك، ففعلتْ، فعاد، فقُبِضت أشد من القبضتين الأُوليين، فقال: ادعِي اللَّه أن =

● وفي الباب حديث في إسناده ضعف، وإن كان صريحًا في بابه، وهو ما أخرجه أبو داود[1] والترمذي وابن ماجه وغيرهم من حديث عمر ﷺ قال: استأذنت النبي ﷺ في العمرة فأذن لي وقال: **«لا تنسنا يا أُخيَّ من دعائك»** فقال كلمة ما يسرني أن لي بها الدنيا.

● وقد استسقى الصحابة بالعباس ﷺ عم رسول اللَّه ﷺ[2].

● وقد وردت عدة وقائع طلب الصحابة ﷺ فيها الدعاء من رسول اللَّه ﷺ[3] وطلبوا منه أن يستغفر لهم، ولكن ترد عليها دعوى الخصوصية فقد

= يطلق يدي، فلكِ اللَّه أن لا أضرُّكِ فقعلتْ، وأُطْلقت يدُهُ، ودعا الذي جاء بها فقال له: إنك إنما أتيتني بشيطان، ولم تأتني بإنسانٍ، فأخْرِجْها من أرْضي، وأعطها هاجر.

قال: فأقبلت تمشي فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف فقال لها: مَهْيَمْ؟ قالتْ: خيرًا كفَّ اللَّهُ يدَ الفاجرِ، وأخْدَمَ خادمًا.

قال أبو هريرة: فتَلْكَ أمُّكُم يا بَنِي ماءِ السماء.

(١) أخرجه أبو داود (١٤٩٨)، والترمذي (٣٥٦٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٢٨٩٤). وفي بعض الروايات: «أشركنا يا أخي في دعائك».

قلت: وفي إسناده عاصم بن عبيد اللَّه، وهو ضعيف، ولعل تصحيح الترمذي له لكون شعبة وسفيان قد رويا هذا الحديث عن عاصم، واللَّه أعلم.

(٢) أخرج البخاري (١٠١٠) من حديث أنس أن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال: اللَّهم إنَّا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون.

(٣) من ذلك ما أخرجه البخاري (٥٨١١)، ومسلم (٢١٦) من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفًا بغير حساب»، فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع اللَّه أن يجعلني منهم يا رسول اللَّه. . الحديث.

● ومن ذلك قول عمر ﷺ: يا رسول اللَّه استغفر لي. أخرجه البخاري (٢٤٦٨)، ومسلم (ص١١١٣).

ومن ذلك ما أخرجه البخاري (٢٥٤٠) من حديث الجُعيد بن عبد الرحمن قال: رأيت =

يقول قائل هذا خاص برسول الله ﷺ، وذلك لقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، وهذا قول قويٌّ.

- وقد قال قوم موسى لموسى عليه السلام: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ في عدة مواطن منها:

﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ﴾ [البقرة: ٦١]، و﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ..﴾ [الأعراف: ١٣٤]، و﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: ٦٨].

وقد يقول قائل بالخصوصية أيضًا لكون موسى عليه السلام رسولاً، لكن بضم الأدلة بعضها إلى بعض يظهر استحباب طلب الدعاء من أهل الفضل عمومًا، وقد تقدم نقل كلام النووي في ذلك، والله أعلم.

* * *

= السائب بن يزيد بن أربع وتسعين جَلدًا مُعتدلاً، فقال: قد علمتُ ما مُتّعت به سمعي وبصري إلا بدعاء رسول الله ﷺ، إن خالتي ذهبت بي إليه فقالت: يا رسول الله، إن ابن أُختي شاكٍ فادع الله له، قال: فدعا لي ﷺ، وانظر مسلم (٢٣٤٥).

هل يوافق كل من طلب الدعاء من شخص؟

ولا يجب إذا قال لك شخص: ادع اللَّه لي بكذا وبكذا أن تـدعو له، فقد طلب رجل من النبي ﷺ أن يجعله من السـبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فقال له رسول اللَّه ﷺ : «**سبقك بها عكاشة**»[1] .

وقال عمـر لرسول اللَّه ﷺ : ادع اللَّه أن يوسع على أمتك فـإن فارس والروم قد وُسِّع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون اللَّه[2]. فلم يجب عمر إلى هذا الطلب.

* * *

---

(١) البخاري (حديث ٦٥٤٢)، ومسلم (حديث ٢١٦).

(٢) البخاري (٥١٩١)، ومسلم (حديث ١١١١).

منازعة الدعاء

وإذا كان هناك أمرٌ واحد يسأله شخصٌ ربَّه عز وجل فهل لآخر أن يسأل ربه هذا الأمر، بمعنى: إذا كان هناك شخص يدعو ربَّه أن يكون إمامًا لمسجد معين (والمسجد يحتاج إلى إمام واحد) فهل لشخص آخر أن يدعو ربه أن يكون إمام هذا المسجد؟!

أو إذا كانت هناك فتاة حسناء ذات دين ومنصب وجمال وهناك بعض الفضلاء يريد الزواج بها ويدعو ربه بذلك فهل لشخص آخر أن يدعو ربَّه بالزواج من تلك الفتاة؟!

فنقول وباللَّه التوفيق: إن الأمر يحتاج إلى شيء من التفصيل، ووجه هذا التفصيل أن المتقدم لهذا الأمر الذي يسأل ربه أن يمنحه إياه إذا كان كفؤًا لهذا الأمر فيكره لغيره أن يسأل ربه نفس السؤال، وذلك للآتي ذكره:

قول اللَّه تعالى: ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾ [الحشر: ٩].

وقول النبي ﷺ[١] لما صلى صلاة وعرض له الشيطان فيها فقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الشيطان عَرَضَ لي فشدَّ عليَّ ليقطع الصلاة عليَّ فأمكنني اللَّه منه فذَعَتُّهُ، ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا فتنظروا إليه، فذكرت قول سليمان عليه السلام: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ﴾ فردَّه اللَّه خاسئًا**».

ثم إن هذا قد يدخل في نوع من الحسد، وهو تمني زوال النعم عن الأشخاص.

(١) أخرجه البخاري (حديث ١٢١٠).

أما إذا لم يكن المتقدم والسائل لهذا الأمر كـفؤًا، أو إذا كان سيضرّ بالعمل الذي يسأله فـمثل هذا لا ينبغي أن يتـقدم الشخص بالدعـاء، فاللَّه لا يحب الفساد.

كذلك إذا كـان المقام مقام تنافس في الخـير فللشخص أن يســأل ربه مزيد الخير على الدوام وأن يكون من السابقين إليه.

❊ ❊ ❊

تعليق الدعاء

وتعليق الدعاء هل هو مشروع أم غير مشروع، ومن صور ذلك على سبيل المثال شخص مريض، وكما هو معلوم فالمريض يؤجر على مرضه، حتى على الشوكة يشاكها، ما دام صابرًا محتسبًا فهل يدعو هذا المريض لنفسه بالشفاء قائلاً اللَّهم اشفني، أم يُعلِّق فيقول: اللَّهم إن كان في شفائي خير فاشفني، وكذلك إذا أراد شخص الزواج هل يقول: اللَّهم زوجني أم يقول اللَّهم إن كان في زواجي خير فزوجني!

وهكذا في سائر الصور فنقول وباللَّه التوفيق:

إن أكثر الدعوات التي وقفنا عليها في كتاب اللَّه وفي سنة رسول اللَّه ﷺ دعوات مجزوم بها ليس فيها تعليق إلا في القليل النادر فعلى سبيل المثال لا الحصر، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿**وارزق أهله من الثمرات**﴾ لم يقل إن كان في الرزق خير فارزقهم وإلا فامنعهم.

وكذلك قال عيسى عليه السلام: ﴿**وارزقنا وأنت خير الرازقين**﴾ وقال سليمان عليه السلام: ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ**﴾ [ص:٣٥].

وقال نبينا محمد ﷺ: «**اللَّهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**»[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**اشف أنت الشافي**»[٢].

إلى غير ذلك من الأدعية المتكاثرة جدًا، فليس فيها تعليق للدعاء، بل

---

(١)، (٢) كلاهما صحيح، وقد تقدم.

ينظر الشخص إلى ما يراه صالحًا فيدعـو اللَّه به ما لم يكن فيه إثمٌ ولا قطيعة رحم.

وقد قـال النبي ﷺ: «**إذا دعا أحدكم فليعـزم المسألة ولا يقولن: اللَّهم إن شئت فأعطني فإنه لا مُستكره له**»[(١)] .

وفي روايـة: «**إذا دعوتم اللَّه فاعزموا في الدعـاء ولا يقولن أحدكم إن شئت فأعطني، فإن اللَّه لا مستكره له**»[(٢)] .

● أما المواطن التي ورد فيها تعليق الدعاء:

فمنها على سبيل المثال: دعاء الاستخارة ففيه: «**اللَّهم إن كنت تعلم أن في هذا الأمر خيرًا لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فـيـه، وإن كنت تعلـم أن في هذا الأمـر الأمـر شـرًا لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فـاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث كان ثم ارضني به**»، وسيأتي هذا الحديث بتمامه إن شاء اللَّه.

فنقول، وباللَّه التوفيق: إن التعليق هنا فـيما يبدو لي، واللَّه تعالى أعلم، لا يتعلق بأصل الزواج، إذ أن أصل الزواج مستحب للأدلة الواردة في ذلك، ولكن الاستـخارة تتعلق بمن سيـتزوجهـا الشخص وإن كانت الاستـخارة في أصل الزواج قد تتأتى أيضًا في حق من يستـوي الزواج في حقهم مع عدمه، كامـرأة ثيب تقوم على أيتام يمكنهـا أن تصبر عن الزواج ولكن لها رغـبة في التعفف.

أما الشـاب الممتلئ حرارة والتـواق إلى النساء فـيستـخير اللَّه في الفـتاة التي

---

(١)مسلم (مع النووي ١٧/٦)، والبخاري (مع الفتح ١١/١٣٩).
(٢)البخاري (مع الفتح ١٣/٤٤٥)، ومسلم (١٧/٦).

يتزوجها، ولكن على كل حال فالتعليق في الدعاء ورد في الاستخارة.

وورد كذلك في الدعاء على النفس بالموت ففي الحديث : «**أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي ، وتوفني ما علمت الوفاة خيرًا لي**».

فإما أن نقول: نقتصر في التعليق ـ تعليق الدعاء ـ على المواطن التي علَّق فيها رسول اللَّه ﷺ دعاءه.

وإما أن نقول بأن تعليق الدعاء يتأتى في المواطن التي تستوي فيها الأوجه ولا يترجح في نظر الشخص وجه من الوجوه فيها واللَّه تعالى أعلم.

* * *

دعاء الاستخارة

• وأخرج البخاري [١] حديث الاستخارة من حديث جابر بن عبد اللَّه ﷺ قال: وفيه: كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن: «**إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول: اللَّهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم؛ فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللَّهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري** - أو قال: **في عاجل أمري وآجله - فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري** - أو قال: **في عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به، ويسمي حاجته**».

• وقد استخارت أم المؤمنين زينبُ بنت جحش ﷺ عندما تقدم لها رسول اللَّه ﷺ [٢]، وها هو الحديث بذلك:

• أخرج الإمام مسلم [٣] في «صحيحه» من حديث أنس ﷺ قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول اللَّه ﷺ لزيد: فاذكرها عليَّ قال: فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها، قال: فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول اللَّه ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت: يا زينب، أرسل رسول اللَّه ﷺ يذكرك.

---

(١) البخاري (حديث ٦٣٨٢)، وقد توسعت في تخريجه والكلام على إسناده في كتابي «جامع أحكام النساء» (٣/ ٢١٦) فليراجعه من شاء.

(٢) وتصوري لاستخارتها لكونها قد لا تؤدي لرسول اللَّه ﷺ حقَّه فيتضاعف الإثم في حقها.

(٣) مسلم (٣/ ٥٩٦).

قالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتى أؤامر ربي، فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن. وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن قال: فقال: ولقد رأيتنا أن رسول الله ﷺ أطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار، فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله ﷺ واتبعته فجعل يتتبع حُجَر نسائه يسلم عليهن ويقلن: يا رسول الله، كيف وجدت أهلك؟ قال: فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبرني قال: فانطلق حتى دخل البيت، فذهبت أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب، قال: ووعظ القوم بما وعظوا به.

والاستخارة دعاءٌ فلا مانع من تكرارها، وها هو ابن الزبير يستخير ربه ثلاثًا.

● أخرج مسلم[1] من طريق عطاء قال: لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية، حين غزاها أهل الشام، فكان من أمره ما كان تركه ابن الزُّبير. حتى قدم الناس الموسم. يريد أن يجرئهم (أو يُحَرِّبهم) على أهل الشام، فلما صدر الناس قال: يا أيها الناس! أشيروا عليَّ في الكعبة. أنقضها ثم أبني بناءها أو أصلح ما وهى منها؟ قال ابن عباس: فإنِّي قد فُرِق لي رأيٌ فيها، أرى أن تصلح ما وهى منها، وتدع بيتًا أسلم الناس عليه. وأحجارًا أسلم الناس عليها وبُعث عليها النبي ﷺ. فقال ابن الزبير: لو كان أحدكم احترق بيته ما رضي حتى يُجِدَّه، فكيف بيت ربِّكم؟ إني مستخيرٌ ربي ثلاثًا. ثم عازمٌ على أمري.

فلما مضى الثلاث أجمع رأيه على أن ينقضها فتحاماه الناس أن ينزل بأول

---

(١) مسلم (ص٩٧٠).

الناس يصعد فيه، أمرٌ من المساء، حتى صَعِده رجلٌ فألقى منه حجارةً فلما لم يره الناس أصابه شيء تتابعوا فنقضوه حتى بلغوا به الأرض، فجعل ابن الزبير أعمدةً فستَّر عليها الستور حتى ارتفع بناؤُهُ.

وهذه فوائد تتعلق بمسألة الاستخارة:

- صلاة الاستخارة مستحبة وليست بواجبة: ودليل ذلك قول النبي ﷺ: «**إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل...**»، ولقول النبي ﷺ للأعرابي - لما قال له خمس صلوات في اليوم والليلة فقال الأعرابي: هل عليَّ غيرها؟ قال: «**لا إلا أن تطوع**».

- على ذلك يجوز أن تكون الاستخارة بعد ركعتي تحية المسجد، أو بعد نافلة الصبح أو الظهر أو العصر أو المغرب أو العشاء، أو بعد صلاة الليل، أو الضحى أو غير ذلك، وذلك إن نوى أن يستخير عقب تلك الصلوات.

- والاستخارة إنما تكون في المباحات، ولا تكون في المستحبات، ولا الواجبات، وكذلك لا تكون في المكروهات ولا المحرمات.

فلا يستخير رجلٌ مثلاً كي يصلي الظهر، ولا لأن يصلي نافلة الظهر، ولا يستخير لصوم رمضان، ولا لصوم الاثنين والخميس، ونحو ذلك وكذلك لا يستخير للشرب قائمًا، ولا يستخير كي يسرق.

ولا يستخير في أصل الزواج؛ لأن اللَّه عز وجل أمر بالزواج فقال: ﴿**وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم**﴾ وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج**» ولكن إن استخار في أمر الزواج **يستخير في التي يتزوجها، ويستخير في وقت الزواج، وأهل العروس ونحو ذلك.**

وكذلك يُستخار في الواجبات التي وقتها موسع (كالحج عند من يرى أنه يجب على التراخي) وهذا عند بعض أهل العلم بمعنى أنه يستخير هل يحج هذا العام أو الذي يليه.

● وكذلك يجوز أن يستخار في المستحبات عند تواردها وتعارضها، فمثلاً أراد رجل أن يتطوع بعمرة، وبدا له أن يذهب لمكان آخر لتعلم العلم الشرعي لخدمة دينه وأهل بلده، فيجوز له حينئذ أن يستخير، والله تعالى أعلم.

وإنما قيدنا بهذه التقييدات مع قول جابر ﷺ: (كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها)؛ لأنه لم يرد لنا أن النبي ﷺ استخار في واجب أو مستحب أو مكروه أو محرم، بل وفي بعض المباح لم يرد لنا أن النبي ﷺ استخار فيه، ففي قصة زواجه عليه السلام من جويرية بنت الحارث لم يرد لنا أنه عليه الصلاة والسلام استخار، وكذلك في حديث الواهبة قال له صاحبه: إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها يا رسول الله، إلى غير ذلك من الوقائع، وأيضًا (فلفظ كل) قد لا يفيد العموم في بعض الأحيان كما في قول الله تبارك وتعالى: ﴿**تدمر كل شيء بأمر ربها**﴾، وفي قوله تعالى: ﴿**وأوتيت من كل شيء**﴾ وفي قول عائشة ﷺ: (كان رسول الله ﷺ يصوم شعبان كله) مع قولها: (ما صام رسول الله ﷺ شهرًا كاملاً غير رمضان).

● ثم إن دعاء الاستخارة إنما يكون بعد الصلاة وليس بداخلها؛ وذلك لقول النبي ﷺ: «**فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول: اللَّهم إني أستخيرك... الحديث**».

ولا أعلم مستندًا صحيحًا لمن قال إنه في السجود أو عقب التشهد، إلا العمومات التي تفيد أن السجود وبعد التشهد مواطن دعاء، ولكن النص في

دعاء الاستخارة صريح في كون الدعاء عقب الصلاة.

● وقال بعض أهل العلم إنه يقرأ في الأولى من ركعتي الاستخارة بـ ﴿**قل يا أيها الكافرون**﴾ وفي الثانية بـ﴿**قل هو الله أحد**﴾ ، ولا أعلم لهم مستندًا على ذلك، بل أراهم تحجروا واسعًا.

● وقال البعض أيضًا إنه يصلي على النبي ﷺ ويحمد اللَّه عز وجل بين يدي الاستخارة وعقبها، ولم أقف على شيء ثابت في هذا بشأن دعاء الاستخارة، والصلاة التي تقدمت دعاء الاستخارة قد تضمنت حمدًا للَّه وصلاة وسلامًا على رسول اللَّه ﷺ.

● والاستخارة إنما تكون إذا أراد أحدٌ أمرًا من الأمور وليست في كل الخواطر التي تخطر على البال، فالخواطر تخطر ولا تستمر، ورسول اللَّه ﷺ لم يرد عنه أن استخار في الخواطر التي تخطر ، وقد قال في الحديث: «**إذا هم أحدكم بالأمر**» ، إذ لو استخار الشخص في كل الخواطر لضاعت عليه أوقاته.

● ودائمًا نراعي أن يكون نصب أعيينا فعل النبي ﷺ مع قوله ﷺ فأفعاله تفسر أقواله، وكذلك أفعال أصحابه ﷺ تُفسر قوله عليه الصلاة والسلام إذ هُم خير الناس وخير القرون وأفهم الناس لمراد نبيهم ﷺ إذ هو عليه الصلاة والسلام قد بُعث فيهم وقد خرج نبينا ﷺ لأعمال برٍّ كثيرة كعيادة مرضى، وإجابة دعوة، وزيارة قبر، ووصل رحم، وقضاء حوائج المسلمين، وإصلاح بين الناس، و... ولم يرد أنه ﷺ استخار في شيء من ذلك.

● وكذلك إذا تمكن الأمر من شخص فرغب في أمرٍ من المباحات رغبة

تامة وجــاء يستخــير في الأمر عليــه أن يضم إلى الاستخــارة بحثَ الأمر من جوانــبه المتــعلقة به واســتشــارة أهل الرأي والدين في أمره خــشيــة أن تكون الاستخارة تحصيل حاصل.

• وعليه أن يُخلص للَّه عز وجل في دعاء الاستــخارة كما يخلص للَّه عز وجل في سائر الدعوات فــإن اللَّه عز وجل يقول: ﴿**فاعبدوا اللَّه مخلصين له الدين**﴾ والدعاء عبادة، ويقــول سبحانه: ﴿**ادعوا ربكم تضرعا وخيفة**﴾، ويقول سبحانه: ﴿**إنهم كانوا يدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين**﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

• ولا بأس بتــكرير[1] صلاة الاستخارة إذ الغــرض منها الدعاء، والإكثار من الدعاء مستــحب، والنبي ﷺ سُحر فدعا ودعا ودعــا، وكان يقول في صلاة الاستسقاء: «**اللَّهم اسقنا، اللَّهم اسقنا، اللَّهم اسقنا**»، ودعا النبي ﷺ يوم بدر حتى سقط رداؤه عن منكبيه إلى غير ذلك.

• وليس في حديث الاستخارة أن الشخص يرى رؤيا عقبها، أو لا يرى، أو ينشرح صدره، أو لا ينشــرح، ولم أقف عليها في حديث صحــيح. فقد يرى الشخص رؤيا وقــد لا يرى، وقد ينشرح الصدر، وقــد لا ينشرح، وقد يرى رؤيا وتكون حديثًا للنفس. فــمثلاً رجل مولعٌ بامرأة فتكثــر رؤياه فيها، فيتــصور أن كل ما يرد في شأنها إنما هو من اللَّه من المبــشرات، ولكن قد لا تكون من اللَّه وتكون حديثًا للنفس، ومن المعلوم أن الرؤيا على ثلاثة أقسام: رؤيا من اللَّه، وحديث للنفس، وتخويف من الشيطان.

---

(١) وقد ورد في الباب حديث: «إذا هممت بأمرٍ فاستخر ربك سبعًا ثم انظر إلى الذي يسبق في قلبك فإن الخير فيه» وهذا إسناده ضعيف جدًا لا يصلح للاستشهاد به بحال.

وعلى كلٍّ فالاستخارة عبادة يؤديها الشخص ويطمئن قلبه بعدها إذ هي ذكرٌ للَّه، وبذكر اللَّه تطمئن القلوب. فعلى أي الوجوه جاء الأمر (سواء الذي يحبه الشخص أو الذي يكره) عليه أن يكون راضيًا بقدر اللَّه.

وهناك أمور بدهية لا تحتاج إلى استخارة، فإذا تقدم لامرأة رجل خَمَّار أو فاسق من الفساق، أو مفرط في دين فعليها أن ترفضه ابتداءً، وهذا ليس فيه استخارة، وكذلك لا يعمد رجل إلى الاستخارة للزواج من امرأة فاسقة، واللَّه تعالى أعلم.

* * *

التراجع عن الدعاء

- قد يدعو العبد بدعوةٍ في وقت غضب وانفعال وتوتر، وهو لا يرضى عن مثل هذه الدعوة، ولا يحب إجابتها في وقت هدوئه واستقراره وطمأنينة قلبه.
- وقد يدعو الشخص أيضًا بدعوة يراها صوابًا ويرى وجه المنفعة من وراء إجابتها ثم يتبين له أنها خطأ وليس ثمَّ منفعة ظاهرة من وراء إجابتها.
- وقد يدعو الشخص بدعوة فيها إثمٌ وقطيعة رحم.
- وقد يدعو الشخص أيضًا بدعوة، ويرى غيرها أفضل منها.
- وقد يُظلم شخصٌ ويتألم من الظلم فيدعو علي من ظلمه ثم بعد زمن يتبين له أن العفو أولى.
- وقد يدعو الشخص بدعوةٍ لقلة علمه، فيتبين له بعد تعلمه أنها ليست صوابًا.

ولأننا بشرٌ، وقد قال اللَّه تعالى: ﴿**وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا**﴾ [النساء: ٢٨] وقال عز وجل: ﴿**وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقال: ﴿**وَعَسَىٰ أَن**

تكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢١٦]. فلضعفنا وقصور عقولنا وقلة علمنا وتعجلنا وقلة صبرنا تصدر منا دعوات لا نرتضيها بعد صدورها منا، فقد يدعو الشخص على نفسه وأهله وماله وولده، وهو لا يحب بحال أن يستجاب فيه ما دعا لنفسه به.

● وقد **يضايق الولدُ** والدته، فتصب عليه كمًا هائلاً من الدعوات لو استجيبت دعوةٌ منها لدُمِّرت عليه حياته ولفسدت عليه أخراه.

وصحيح أننا **نُهينا** عن الدعاء على أنفسنا وعلى أولادنا وعلى أهلينا وأموالنا، وذلك خشية أن يوافق دعاؤنا ساعة تفتح فيها أبواب السماء فيستجاب لنا كما قال النبي ﷺ: «**لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من اللَّه ساعة يُسأل فيها عطاءٌ فيستجيب لكم**»[1] .

● ولكن هب أن الدعوة صدرت منَّا وبدا لنا أن نتراجع عنها فهل لنا ذلك؟

فنقول ابتداءً، وباللَّه التوفيق: إن ربنا سبحانه وتعالى حليم ورحيم، وقد قال سبحانه: ﴿ **رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا** ﴾ [الإسراء:٢٥].

وقال سبحانه: ﴿ **وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ** ﴾ [يونس:١١].

وهذه الآية الكريمة قال فيها كثيرٌ من أهل العلم ما حاصله: إن الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على أنفسهم وأهليهم وأولادهم بالموت وتعجيل البلاء كما يدعون بالرزق والرحمة والصحة والعافية في أوقات الرخاء، فلو

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» من حديث جابر الطويل (ج١٨/ ١٣٩ مع النووي).

عجَّل اللَّه لهم الإجابة بالشر الذي سألوه واستعجلوه به كما يعجل لهم الخير لهلكوا، ولكنه سبحانه حليم يرفق بهم ويرحمهم.

● ونحو هذا الآية وفي معناها أيضًا قوله تعالى: ﴿ **وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً** ﴾ [الإسراء:١١].

ويدخل في معناها أيضًا أن اللّه لو عجل للكافرين ما سألوه به واستعجلوه به كما في قولهم: ﴿ **اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [الأنفال:٣٢]، وكما قالوا: ﴿ **رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ** ﴾ [ص:١٦].

وكما قال تعالى: ﴿ **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ** ﴾ [العنكبوت:٥٣] ونحو ذلك.

فلو أجابهم اللَّه إلى ما سألوه لأهلكهم وأماتهم جميعًا ومن ثمَّ أدخلهم النار.

● ثم أقول جوابًا على السؤال المطروح: نعم لنا أن نرجع عن دعائنا إذا تبين لنا وجه الخطأ فيه، بل ويستحب لنا ذلك، بل وقد يجب علينا ذلك في بعض الأحيان وها هي بعض الأدلة على ذلك، واللَّه المستعان.

● نبي اللَّه نوح عليه السلام يدعو ربه فيقول: ﴿ **رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ** ﴾ [هود:٤٥]، فيقول اللَّه سبحانه: ﴿ **يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [هود:٤٦] فحينئذ يتراجع عن دعائه الأول فيقول: ﴿ **رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين** ﴾ [هود:٤٧].

● ونبي اللَّه إبراهيم عليه السلام يسأل المغفرة لأبيه ثم يتراجع بعد ذلك لعلمه أن والده من المشركين فيقول أولاً: ﴿ **واغفر لأبي إنه كان من الضالين** ﴾ [الشعراء:٤١]، ثم يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها**

إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ [التوبة: ١١٤].

• ونبي اللَّه موسى عليه السلام يقول: ﴿ **رب أرني أنظر إليك** ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فيقول اللَّه سبحانه وتعالى له: ﴿ **لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين** ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فتاب إلى اللَّه من قوله: ﴿ **رب أرني أنظر إليك** ﴾.

• وكذلك يدعو لقومه لما قالوا له: ﴿ **ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل** ﴾ [الأعراف: ١٣٤] فلما كشف اللَّه عنهم الرجز ونكثوا دعا عليهم بقوله: ﴿ **ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم** ﴾ [يونس: ٨٨].

• ونبينا محمد ﷺ يقول: «**اللَّهم إنما محمدٌ بشر، يغضب كما يغضب البشر وإني قد اتخذت عندك عهداً لن تُخلفَنيه. فأيُّما مؤمن آذيتُهُ، أو سَبَبْتُهُ، أو جلدتُهُ، فاجعلها له كفارةً، وقربةً تقربه بها إليك يوم القيامة**»(١) .

• ولما دعا على المشركين بقوله: «**اللَّهم أعني عليهم بسنين كسني يوسف**»؛ فشدد اللَّه عليهم فأتوه يسألونه أن يدعو ربه، فدعا لهم رسول اللَّه ﷺ بعد أن دعا عليهم، وها هو الحديث بذلك:

• أخرج البخاري ومسلم(٢) ـ والسياق لمسلم ـ من طريق مسروق قال: جاء إلى عبد اللَّه رجلٌ فقال: تركت في المسجد رجلاً يفسر القرآن برأيه، يُفسر هذه الآية: ﴿ **يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ** ﴾ قال: يأتي الناس يوم القيامة

(١) بهذا اللفظ عند مسلم (ص٢٠٠٨).

(٢) البخاري (مختصراً ١٠٢٠)، ومسلم (ص٢١٥٦ ـ ٢١٥٧) حديث (٢٧٩٨).

دخان فيأخُذُ بأنفـاسهم حتى يأخذهم منه كهيئة الزكـام، فقال عبد اللَّه: من علم علمًا فليقل به، ومن لم يعلم فليـقل: اللَّه أعلم. فإن من فقه الرجل أن يقول لما لا علم له به: اللَّه أعلم. إنما كان هذا؛ أن قريشًـا لما استعصت على النبي ﷺ، دعا عليهم بسنين كسني يوسُف، فأصـابهم قحطٌ وجَهْدٌ، حتى جعل الرجل ينـظر إلى السماء فـيرى بينه وبينهـا كهيـئة الدُّخان من الجـهد، وحتى أكلوا العظام، فأتـى النبي ﷺ رجلٌ فقال: يا رسول اللَّه، استـغفر اللَّه لمضر فإنهم قـد هلكوا، فقال: «**لمُـضر؟ إنك لجـريءٌ**» قال: فـدعا اللَّه لهم، فـأنزل الـلَّه عـز وجل: ﴿**إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ**﴾ [الدخان: ١٥]، قال: فمطروا، فلما أصابتهم الرفاهية، قال: عادوا إلى ما كانوا عليه. قال: فأنزل اللَّه عز وجل: ﴿**فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [الدخان: ١٠، ١١]، ﴿**يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ**﴾ [الدخان: ١٦] قال: يعني يوم بدر.

● وفي لفظ لمسلـم أيضًا: إن رسـول اللَّـه ﷺ لما رأى من الناس إدبارًا فقال: «**اللَّهم سبعٌ كـسبعِ يوسف**» قال: فأخذتهم سنةٌ حصَّت[1] كل شيء. حتى أكلوا الجلود والميـتة من الجوع، وينظر إلى السمـاء أحدهم فيرى كهـيئة الدخان، فأتاه أبو سفـيان فقال: يا محمد، إنك جـئت تأمر بطاعة اللَّه بصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع اللَّه لهم. قال اللَّه عز وجل: ﴿**فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ إلى قوله: ﴿**إنكم عائدون**﴾. قال: أفيُكشَف عذاب الآخرة[2] ؟ ﴿**يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا**

---

(١) (حصت): أي استأصلته.

(٢) (أفيكشف عـذاب الآخرة): هذا اسـتفهـام إنكار على من يقول: إن الدخـان يكون يوم القيامـة، كما صرح به في الرواية الثانـية، فقال ابن مسـعود: هذا قول باطل. لأن اللَّه =

مُنتَقِمُونَ﴾ فالبطشة يوم بدر. وقد مضت آية الدُّخان، والبطشة واللِّزام[١] ، وآية الروم[٢] .

● ولما دفع قومٌ عن حوضه ﷺ يوم القيامة يقول: يا رب، أصحابي أصحابي. فيقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فيتراجع عن الدعاء، وها هو الحديث بذلك.

● أخرج البخاري[٣] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب النبي ﷺ فقال: «**إنكم محشورون إلي الله حفاة عراة غرلاً ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين﴾** [الأنبياء: ١٠٤]، **ثم إن أول من يُكسى يوم القيامة إبراهيم، ثم يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب، أصحابي، فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم﴾** [المائدة: ١١٧] إلى قوله: **﴿شهيد﴾، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مُرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم**».

● وأيضًا فأبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول لأضيافه ساعة غضب: كلوا لا هنيئًا. ثم يتراجع بعد ذلك.

● أخرج البخاري ومسلم[٤] من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما:

= تعالى قال: ﴿إنا كاشفو العذاب قليلاً إنكم عائدون﴾. ومعلوم أن كشف العذاب، ثم عودهم لا يكون في الآخرة. وإنما هو في الدنيا.

(١) (واللزام): المراد به قوله سبحانه وتعالى: ﴿فسوف يكون لزامًا﴾ أي: يكون عذابهم لازمًا. قالوا: وهو ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والأسر، وهي البطشة الكبرى.

(٢) (وآية الروم): المراد به قوله تعالى: ﴿غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾ وقد مضت غلبة الروم على فارس يوم الحديبية. (نقلاً عن حاشية مسلم).

(٣) البخاري (٤٧٤٠).

(٤) البخاري (٦١٤٠، ٦١٤١)، ومسلم (٢٠٥٧) واللفظ لمسلم.

أن أصحاب الصفة كانوا ناسًا فقراء، وإن رسول اللَّه ﷺ قال مرة: «**من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثلاثة، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس، بسادس**»، أو كما قال. وإن أبا بكر جاء بثلاثة، وانطلق نبي اللَّه ﷺ بعشرة وأبو بكر بثلاثة، قال: فهو وأنا وأبي وأمي - ولا أدري هل قال: وامرأتي وخادم بين بيتنا وبيت أبي بكر - قال: وإن أبا بكر تعشى عند النبي ﷺ ثم لبث حتى صُلِّيت العشاء. ثم رجع فلبث حتى نعس رسول اللَّه ﷺ، فجاء بعد ما مضى من الليل ما شاء اللَّه، قالت له امرأته: ما حبسك عن أضيافك أو قالت: ضيفك؟ قال: أو ما عشيتهم؟ قالت: أبوا حتى تجيء. قد عرضوا عليهم فغلبوهم، قال: فذهبت أنا فاختبأت، وقال: يا غنثر! فجدع وسبَّ، وقال: كلوا، لا هنيئًا، وقال: واللَّه لا أطعمه أبدًا.

قال: فايم اللَّه ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، قال: حتى شبعنا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر فإذا هي كما هي أو أكثر، قال لامرأته: يا أخت بني فراس! ما هذا؟ قالت: لا وقرة عيني! لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرار، قال: فأكل منها أبو بكر، وقال: إنما كان ذلك من الشيطان - يعني يمينه - ثم أكل منها لقمة، ثم حملها إلى رسول اللَّه ﷺ فأصبحت عنده، قال: وكان بيننا وبين قوم عقد فمضى الأجل، فعرفنا اثنا عشر رجلاً، مع كل رجل منهم أناس، اللَّه أعلم كم مع كل رجل. إلا أنه بعث معهم فأكلوا منها أجمعون، أو كما قال.

بل ويجوز الاستدراك على دعاء الآخرين كذلك:

فإذا دعا شخص بدعوة ورأيت أن فيها خطأ فيجوز لك، وقد يستحب، وقد يجب أيضًا أن تدعو اللَّه بألا يستجاب من هذا الداعي دعاءه.

ومن الأدلة على الاستدراك على دعاء الآخرين:

● ففي «الصحيحين»[١] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة»... فذكر الحديث وفيه: «وبينا صبيٌّ يرضع من أمه فمرَّ رجلٌ راكبٌ على دابة فارهَةَ[٢] وشارة[٣] حسنة. فقالت أمُّهُ: اللهم اجعل ابني مثل هذا. فترك الثدي وأقبل إليه فنظر إليه فقال: اللَّهم لا تجعلني مثله. ثم أقبل على ثديه فجعل يرتضع.

قال: فكأني أنظر إلى رسول اللَّه ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بإصبعه السبابة في فمه. فجعل يمصها. قال: ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون: زنيت. سرقت، وهي تقول: حسبي اللَّه ونعم الوكيل. فقالت أمُّه: اللَّهم لا تجعل ابني مثلها. فترك الرضاع ونظر إليها فقال: اللَّهم اجعلني مثلها. فهناك تراجعا الحديث[٤] فقالت: حَلَقَى[٥] مرَّ رجل حسن الهيئة فقلتُ: اللَّهم اجعل ابني مثله. فقلت: اللَّهم لا تجعلني مثله، ومرُّوا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون: زنيت. سرقتِ. فقلتُ: اللَّهم لا تجعل ابني مثلها. فقلتَ: اللَّهم اجعلني مثلها[٦].

قال: إن ذاك الرجل كان جبارًا، فقلتُ: اللَّهم لا تجعلني مثله. وإن هذه يقولون لها زنيتِ، ولم تزنِ، وسرقتِ، ولم تسرق. فقلت: اللَّهم اجعلني مثلها.

* * *

---

(١) البخاري (حديث ٣٤٣٧)، ومسلم (ص١٩٧٧، ١٩٧٨).

(٢) (فارهة) الفارهة النشيطة الحادة القوية. وقد فرهت فراهة وفراهية.

(٣) (وشارة) الشارة الهيئة واللباس.

(٤) (تراجعا الحديث): معناه أقبلت على الرضيع تحدثه. وكانت أولا لا تراه أهلاً للكلام. فلما تكرر منه الكلام، علمت أنه أهل له فسألته وراجعته.

(٥) (حلقى): أي أصابه اللَّه تعالى بوجع في حلقه.

(٦) (مثلها): أي سالمًا من المعاصي كما هي سالمة.

الدعاء الجماعي

ورد في الدعاء الجماعي من الأدلة التي يمكن الاستدلال بها ما يلي:

• قول اللَّه تبارك وتعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿**قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا**﴾ فدل ذلك على أحد أمرين:

أولهما: إما أنهما دعوا معًا.

الثاني: أن أحدهما دعا، والآخر أمَّن على دعائه.

• والقول الثاني هو الأولى؛ إذ الآية التي قبلها: ﴿**وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا**﴾ فدلَّ ذلك على أن موسى كان يدعو، ومن ثمَّ كان هارون يؤمِّن وهذا أيضًا يدل على الدعاء الجماعي، ومنه استنبط بعض العلماء أن الذي يؤمن على الدعاء يكون بمنزلة من دعا[١].

• أمرُ النبي ﷺ الحُيَّض وذوات الخدور بالخروج لصلاة العيد، وقوله عليه الصلاة والسلام: «... **وليشهدن الخير ودعوة المؤمنين**»[٢] ؛ فدلَّ ذلك على

---

(١) قال الحافظ بن كثير ـ رحمه اللَّه: وقد يحتج بهذه الآية من يقول إن تأمين المأموم على قراءة الفاتحة ينزل منزلة قراءتها لأن موسى دعا، وهارون أمَّن.

وقال أبو المظفر السمعاني ـ رحمه اللَّه: فإن قال قائل إن الداعي موسى، وقال: ﴿قد أجيبت دعوتكما﴾ الجواب المروي أن موسى كان يدعو وهارون يؤمن، والتأمين دعاء، فإن معنى التأمين: اللَّهم استجب.

وقال السعدي في «تفسيره»: ﴿قد أجيبت دعوتكما﴾ هذا دليل على أن موسى كان يدعو، وهارون يُؤمِّن على دعائه، وأن الذي يؤمن يكون شريكًا للداعي في ذلك الدعاء.

(٢) انظر البخاري (حديث ٩٨٠) ومسلم (ص٦٠٦).

أن للمؤمنين دعوة.

● ما أخرجه مسلم[١] في «صحيحه» من حديث زيد بن ثابت ﷺ قال: بينما النبيُّ ﷺ في حائط لبني النَّجَّار، على بغلة له، ونحن معه، إذ حادَت به فكادت تُلقيه، وإذا أَقْبُر ستةٌ أو خمسةٌ أو أربعةٌ (قال: كذا كان يقول الجُرَيرِيُّ)، فقال: «**من يعرفُ أصحابَ هذه الأَقْبُر؟**» فقال رجل: أنا. قال: «**فمتى مات هؤلاء؟**» قال: ماتوا في الإشراك. فقال: «**إن هذه الأمة تُبتلى في قُبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت اللَّه أن يُسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه**»، ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: «**تعوَّذوا باللَّه من عذاب النار**». قالوا: نعوذ باللَّه من عذاب النار، فقال: «**تعوذوا باللَّه من عذاب القبر**». قالوا: نعوذ باللَّه من عذاب القبر، قال: «**تعوذوا باللَّه من الفتن ما ظهر منها وما بطن**». قالوا: نعوذُ باللَّه من الفتن، ما ظهر منها وما بطن. قال: «**تعوذوا باللَّه من فتنة الدجال**». قالوا: نعوذ باللَّه من فتنة الدجال.

● في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم[٢] (واللفظ لمسلم) من حديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**إن للَّه تبارك وتعالى ملائكةً سيَّارةً فُضُلاً[٣] يتَّبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم وحفَّ بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرَّقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء. قال: فيسألهم اللَّه عز وجل ـ وهو أعلم بهم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عباد لك في الأرض يسبحونك ويكبرونك**

(١) مسلم (حديث ٢٨٦٧).

(٢) البخاري (حديث ٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩).

(٣) أي ملائكة زائدون على الحفظة، وهؤلاء السيارة لا وظيفة لهم إنما مقصودهم حِلق الذكر.

ويهلِّلونك ويحمدونك ويسألونك. قال: ومـاذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك. قـال: وهل رأوا جنتـي؟ قـالوا: لا، أي ربِّ! قـال: فكيف لو رأوا جـنتي؟ قـالوا: ويستـجيرونك. قال: وممَّ يسـتجيرونني؟ قـالوا: من نارك يا ربّ! قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا. قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك. قال: فيقول: قد غفرتُ لهم. فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا. قال: فيقولون: ربِّ، فيهم فلانٌ عبدٌ خطَّاءٌ إنَّما مر فجلس معهم. قال: فيقول: ولهُ غفرتُ. همُ القوم لا يشقى بهم جليسهم».

● وفي الباب كذلك ما أخرجه الحاكم والطبراني[١] من حديث حبيب بن مسلمة الفـهري ـ وكان مُجاب الدعوة ـ أنه أُمِّـر على جيش فدرب الدروب، فلما أتى العدو قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«لا يجتمع مـلأٌ فيدعو بعضهم ويؤمن البعض إلا أجابهم اللَّه»**، ثم إنه حمد اللَّه وأثنى عليه ثم قال: اللَّهم احقن دماءنا واجعل أجورنا أجور الشهداء فبينما هم على ذلك. إذ نزل الهنباط[٢] أمير العدو فدخل على حبيب سرادقه[٣] .

● وفي الباب أيضًـا ما ورد عن بعض السلف من دعاء عند خـتم القرآن، فـقد صحَّ عن أنس رضي الله عنه أنه كـان إذا ختم الـقرآن جـمع أهله وولده فدعـا

(١) الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٤٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣٥٣٦).

(٢) أي: أنه استسلم.

(٣) وفي إسناده ابن لهيعة، والكلام فيه معروف، فمن العلماء من يقبل حديثه مطلقًا، ومنهم من يرده مطلقًا، ومنهم مـن يقبله إذا كان من طريق رواه مخـصوصين عنه كعـبد اللَّه بن يزيد المقرئ، وعبد اللَّه بن مسلمة، وعبد اللَّه بن المبارك، وعبد اللَّه بن وهب، وآخرين، وهذا الحديث من طريق عبد اللَّه بن يزيد المقرئ.
ثم خلاف آخر وهو الاخـتلاف في صحبـة الراوي فمنهم من يثبت صحبـته، ومنهم من ينفيها والظاهر ثبوتها واللَّه أعلم.

لهم[١].

● وهناك أدعية جماعية عامـة كقول المأمومين (آمين) في الصلاة، فمعناها اللَّهم استجب.

● وكالأدعية الواردة في الاستسقاء، والكسوف، وعند النوازل بصفة عامة في الصلوات وفي خطب الجمعة وغيرها.

● وعمـوم قول النبي ﷺ : **«ما حسدتكم اليهـود علي شيء ما حسدتكم على التأمين والسلام»**[٢] فالتأمين هنا عام.

● **قال شيخ الإسلام ـ رحمه اللَّه ـ في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم»:**

فأما اتخاذ اجتماع راتب يتكرر بتكرر الأسابيع أو الشهور أو الأعوام، غير الاجتـماعـات المشروعة، فـإن ذلك يضاهي الاجـتماع للصـلوات الخمس، وللجمعة، وللعيدين وللحج، وذلك هو المبتدع المحدث.

ففرق بين ما يتخذ سنة وعادة، فإن ذلك يضاهي المشروع، وهذا الفرق هو المنصوص عـن الإمام أحمـد، وغيـره من الأئمة، فروى أبو بـكر الخلال في «كتاب الأدب»، عن إسـحاق بن منصور الكوسج، أنه قال لأبـي عبد اللَّه: تكره أن يجتمع القوم يدعون اللَّه ويرفـعون أيديهم؟ قال: «ما أكرهه للإخوان إذا لم يجتمعوا على عمد، إلا أن يكثروا».

---

(١) أخرجه الفـريابي (فضائل القرآن ٨٣)، والدارمي (٢/٤٦٨ ـ ٤٦٩)، وسعـيد بن منصور (٢٧) وغيرهم.

وانظر تخريجـه بتوسع مع مزيد في كـتاب «جلاء الأفـهام في الصلاة على خـير الأنام» ﷺ بتخريج وتحقيق الأخ الفاضل الشيخ مشهور حسن سلمان وفقه اللَّه.

(٢) ابن ماجـه (حديث ٨٥٦)، وابن خـزيمة (٥٧٤)، والبخـاري في «الأدب المفرد» (٩٨٨) بإسنادٍ حسنٍ عن عائشة ﵂ مرفوعًا.

قال إسحاق بن راهويه كما قال. وإنما معنى أن لا يكثروا: أن لا يتخذوها عادة حتى يكثروا. هذا كلام إسحاق.

وقال المروزي: سألت أبا عبد اللَّه عن القوم يبيتون، فيقرأ قارئ ويدعون حتى يصبحوا؟ قال: «أرجو أن لا يكون به بأس».

وقال أيضًا: فقيد أحمد الاجتماع على الدعاء بما إذا لم يتخذ عادة.

وبعد هذا العرض: يظهر لي، واللَّه تعالى أعلم، أن إخفاء الدعاء أولى في الجملة، وذلك لقوله تعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**﴾، ولقوله تعالى: ﴿**ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا**﴾؛ ولأن الدعاء عبادة، والعبادات ـ خاصة النوفل منها ـ يستحب إخفاؤها.

● أما المواطن التي ورد عن رسول اللَّه ﷺ الجهر فيها فيسن فيها الجهر، وكذلك الدعوات الجماعية التي لم تقيد بيوم معين أو بشهر معين، أما الدعوات الجماعية التي يخصصها البعض بيوم أو بشهر فهي حينئذ داخلةٌ في المنع، وكذلك كل ما لم يرد فيه هدي لنبينا ﷺ فالأولى تركه وامتثال قوله تعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾، واللَّه تبارك وتعالى أعلم.

* * *

قاعدة في الأذكار
والدعوات التي رويت بألفاظ مختلفة

كأنواع الاستفتاحات وأنواع التشهدات في الصلاة، وأنواع الأدعية التي اختلفت ألفاظها، وأنواع الأذكار في الركوع والسجود، والألفاظ التي رويت في الصلاة على النبي ﷺ .

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - في كتابه «جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ﷺ » (ص١٩٠):

قد سلك بعض المتأخرين في ذلك طريقة في بعضها، وهو أن الداعي يستحب له أن يجمع بين تلك الألفاظ المختلفة، ورأى ذلك أفضل ما يقال فيها، فرأى أنه يستحب للداعي بدعاء الصديق ؓ أن يقول: «**اللَّهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا كبيرًا**»، ويقول المصلي على النبي ﷺ : «**اللَّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد وعلى أزواجه وذريته وارحم محمدًا وآل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم**». وكذلك في البركة والرحمة ويقول في دعاء الاستخارة: «**اللَّهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وعاجل أمري وآجله**» ونحو ذلك.

قال: ليصيب ألفاظ النبي ﷺ يقينًا فيما شك فيه الراوي ولتجتمع له ألفاظ الأدعية الأُخر فيما اختلفت ألفاظها، ونازعه في ذلك آخرون وقالوا هذا ضعيف من وجوه:

أحدها: أن هذه طريقة محدثة لم يسبق إليها أحد من الأئمة المعروفين.

الثاني: أن صاحبها إن طردها لزمه أن يستحب للمصلي أن يستفتح بجميع

أنواع الاستفتاحات، وأن يتشهد بجميع أنواع التشهدات، وأن يقول في ركوعه وسجوده جميع الأذكار الواردة فيه، وهذا باطل قطعًا فإنه خلاف عمل الناس ولم يستحبه أحد من أهل العلم وهو بدعة، وإن لم يطردها تناقض وفرّق بين متماثلين.

الثالث: أن صاحبها ينبغي أن يستحب للمصلي والتالي أن يجمع بين القراءات المتنوعة في التلاوة في الصلاة وخارجها، قالوا: ومعلوم أن المسلمين متفقون على أنه لا يستحب ذلك للقارئ في الصلاة ولا خارجها إذا قرأ قراءة عبادة وتدبر. وإنما يفعل ذلك القراء أحيانًا ليمتحن بذلك حفظ القارئ لأنواع القراءات وإحاطته بها واستحضاره إياها والتمكن من استحضارها عند طلبها، فذلك تمرين وتدريب لا تعبد مستحب لكل تالٍ وقارئ.

ومع هذا ففي ذلك للناس كلام ليس هذا موضعه، بل المشروع في حق التالي أن يقرأ بأي حرف شاء وإن شاء أن يقرأ بهذا مرة وبهذا مرة جاز ذلك، وكذلك الداعي إذا قال: «**ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا**» مرة، ومرة قال: «**كبيرًا**» جاز ذلك، وكذلك الداعي إذا صلى على النبي ﷺ مرة بلفظ هذا الحديث ومرة بلفظ الآخر، وكذلك إذا تشهد فإن شاء تشهد بتشهد ابن مسعود وإن شاء بتشهد ابن عباس وإن شاء بتشهد ابن عمر وإن شاء بتشهد عائشة رضي اللَّه عنهم أجمعين.

وكذلك في الاستفتاح إن شاء استفتح بحديث علي وإن شاء بحديث أبي هريرة، وإن شاء باستفتاح عمر، وإن شاء فعل هذا مرة وهذا مرة، وكذلك إذا رفع رأسه من الركوع إن شاء قال: «**اللَّهم ربنا لك الحمد**»، وإن شاء قال: «**ربنا لك الحمد**»، وإن شاء قال: «**ربنا ولك الحمد**»، ولا يستحب له أحد أن يجمع بين ذلك كله.

وقد احتج غير واحد من الأئمة منهم الشافعي - رحمه اللَّه تعالى - على جواز الأنواع المأثورة في التشهدات ونحوها بالحديث الذي رواه أصحاب السنن وأصحاب الصحيح وغيرهم عن النبي ﷺ أنه قال: «**أنزل القرآن على سبعة أحرف**» فجوز النبي ﷺ القراءة بكل حرف من تلك الأحرف وأخبر أنه: «**شاف كاف**»، ومعلوم أن المشروع في ذلك أن يقرأ بتلك الأحرف على سبيل البدل لا على سبيل الجمع كما كان الصحابة رضوان اللَّه عليهم يفعلون.

الرابع: أن النبي ﷺ لم يجمع بين تلك الألفاظ المختلفة في آن واحد، بل إما أن يكون قال هذا مرة وهذا مرة، كألفاظ الاستفتاح والتشهد وأذكار الركوع والسجود، وغيرها، فاتباعه ﷺ يقتضي ألا يجمع بينها بل يقال هذا مرة وهذا مرة.

وإما أن يكون الراوي قد شك في أي الألفاظ قال، فإن ترجح عند الداعي بعضها صار إليه وإن لم يترجح عنده بعضها كان مخيراً بينها ولم يشرع له الجمع. فإن هذا نوع ثالث لم يرد عن النبي ﷺ، فيعود الجمع بين تلك الألفاظ في آن واحد على مقصود الداعي بالإبطال لأنه قصد متابعة الرسول ﷺ ففعل ما لم يفعله قطعًا. ومثال ما لم يترجح فيه أحد الألفاظ حديث الاستخارة، فإن الراوي شك هل قال النبي ﷺ: «**اللَّهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري**» أو قال: «**وعاجل أمري وآجله**» بدل «**وعاقبة أمري**» والصحيح اللفظ الأول وهو قوله: «**وعاقبة أمري**» لأن عاجل الأمر وآجله هو مضمون قوله: «**ديني ومعاشي وعاقبة أمري**» فيكون الجمع بين المعاش وعاجل الأمر وآجله تكرارًا بخلاف ذكر المعاش والعاقبة فإنه لا تكرار فيه، فإن المعاش هو عاجل الأمر والعاقبة آجله، ومن ذلك ما ثبت

عن النبي ﷺ أنه قال: **«من قرأ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال»** رواه مسلم، واختلف فيه فقال بعض الرواة: من أول سورة الكهف، وقال بعضهم: من آخرها، وكلاهما في «الصحيح» لكن الترجيح لمن قال: من أول سورة الكهف، لأن في صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان في قصة الدجال: **«فإذا رأيتموه فاقرأوا عليه فواتح سورة الكهف»**، ولم يختلف في ذلك، وهذا يدل على أن من روى العشر من أول السورة حفظ الحديث، ومن روى من آخرها لم يحفظه.

الخامس: أن المقصود إنما هو المعنى والتعبير عنه بعبارة مؤدية له، فإذا عبَّر عنه بإحدى العبارتين حصل المقصود فلا يجتمع بين العبارات المتعددة.

السادس: أن أحد اللفظين بدل عن الآخر فلا يستحب الجمع بين البدل والمبدل معًا كما لا يستحب ذلك في المبدلات التي لها أبدان والله أعلم. انتهى كلام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ (٣/ ٥١٩) عند تفسير قوله تعالى: ﴿والعنهم لعنا كبيرا﴾:

قرأ بعض القراء بالباء الموحدة وقرأ آخرون بالثاء المثلثة وهما قريبان في المعنى كما في حديث عبد الله بن عمرو: أن أبا بكر قال: يا رسول الله، علمني دعاء أدعو به في صلاتي. قال: **«قل: اللَّهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»** أخرجاه في «الصحيحين» يروى: كثيرًا، وكبيرًا، وكلاهما بمعنى صحيح.

واستحب بعضهم أن يجمع الداعي بين اللفظين في دعائه، وفي ذلك

نظر، بل الأولى أن يقول هذا تارة وهذا تارة كما أن القارئ مخير بين القراءتين أيتهما قرأ أحسن وليس له الجمع بينهما والله أعلم.

قلت (مصطفى): ولا شك أن هناك مواطن يستحب فيها الإكثار من الدعاء، ففيها تتنوع الأدعية وتتعدد على وجه الاستحباب كالسجود، إذ قال النبي ﷺ: «**أما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمنٌ أن يستجاب لكم**»[1].

وفي رواية: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء**»[2].

ففي مثل هذا الموطن يستحب الإكثار من الدعاء، فمن ثمَّ يستحب الجمع بين الدعوات وكذلك تعظيم الرب في السجود، وكذلك الدعاء عقب التشهد، لقول النبي ﷺ: «**ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه**».

ولكن ثمَّ مواطن لا يستحب فيها هذا الجمع بين الدعوات والأذكار، كالتشهد على سبيل المثال فلا يُذكر تشهد ابن مسعود الذي رواه عن النبي ﷺ ثم نعقبه بتشهد ابن عباس ثم بتشهد أبي موسى ثم بتشهد عائشة، فهذا صنيعٌ لم يرد عن النبي ﷺ، فمثل هذا الموطن يقتصر فيه على تشهد واحدٍ، وإن جاز لنا أن نتشهد بتشهد ابن مسعود في صلاة وبتشهد ابن عباس في صلاة أخرى وبتشهد أبي موسى في ثالثة، وبتشهد عائشة في صلاة رابعة، لكن الجمع بينها في صلاة واحدة في جلسة واحدة صنيع لم يعهد عن النبي ﷺ ولا أعلمه واردًا عن سلفنا الصالح - رحمهم الله.

* * *

(١) مسلم (مع النووي ٤/ ١٩٦).

(٢) مسلم (مع النووي ٤/ ٢٠٠).

اشتقاق الأدعية من الأسماء ومدلولاتها

فيتفاءل الشخص بالأسماء الحسنة ويستنبط منها الأدعية الملائمة لأهلها، فإذا أتاك من اسمه صالح قلت له: أصلحك اللَّه، ودعوت له بالصلاح، وإذا أتاك من يسمى بسعد فادع اللَّه له بالسعادة. ففي هذا تطييب للقلوب وجلب للمودة.

وقد قال النبي ﷺ: «**أسلم سالمها اللَّه، وغفار غفر اللَّه لها، وعُصيَّة عصت اللَّه ورسوله**»[1].

وأسلم وغفار وعصية قبائل من قبائل العرب.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣٥١٣، ٣٥١٤)، ومسلم (حديث ٢٥٢١).

سؤال الله القبول والتعوذ بالله من دعاءٍ لا يسمع

وبعد هذا العرض، وبعـد الاجتهاد في الدعاء، بل ومعـه كذلك ينبغي أن يسأل الداعي ربَّه القبـول، فإن العامل قد يعـمل والمجتهد يجتـهد ويبالغ في الاجتهاد، ولا يدري هذا ولا ذاك هل يتقبل منـه العمل أم لا؟ فحينئذ يجدر بالعبد أن يسأل ربه القبول، وعليه أن يتعوذ باللَّه من دعاء لا يُسمع.

● فرسولنا ﷺ كان يتعوذ باللَّه من دعاءٍ لا يسمع[1].

● وخليل الرحمن إبراهيم عليـه السلام ومعه ولده إسمـاعيل يسألان اللَّه القبول، وهما يرفعان القـواعد من البيت فيقولان: ﴿**ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم**﴾ [البقرة: ١٢٧]، ويقول إبراهيم عليه السلام: ﴿**ربنا وتقبل دعاء**﴾.

● وامرأة عمـران نذرت ما في بطنها مُحرراً خـالصًا للَّه، وتقول في ذلك ﴿**رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم**﴾.

● وليحرص العبد على التقوى فإن اللَّه قال: ﴿**إنما يتقبل اللَّه من المتقين**﴾.

تم بحمد اللَّه وتوفيقه،،، نسأل اللَّه القبول...

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي

---

(١) أخرجه مسلم (مع النووي ١٧/ ٤١) من حـديث زيد بن أرقم أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العـجز والكسل.. الحديث»، وفيـه: «اللَّهم إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها».

• فهرس الموضوعات •

الموضوع	الصفحة